جهود العلامة محمد بشير السهسواني الهندي رحمه الله في تقرير توحيد الألوهية والرد على المخالفين

أ. محمد رياض الدين*, د. محمد عبد الرحمن حبنكة الشهبر بالميداني**

سلم البحث في ١٤٤٦/٧/٢هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٦/٨/٢هـ

ملخص البحث:

فإن الغاية التي رفعت من أجلها السماوات، وبسطت الأرض، وأنزلت لتقريرها الكتب، وأرسلت لبيانها الرسل، وقامت بها الحدود هي توحيد الله بالعبادة، وإفراده بالألوهية، وهي حق الله على عباده. ومن عظيم نعم الله الخاصة بالأمة الإسلامية تكفله بحفظ الدين إلى يوم الدين, وقد صدق وعده بتسخير العلماء العاملين بالكتاب والسنة في كل زمان ومكان، ويجعلهم ورثة لأنبيائه ورثوا عنهم العلم والعمل فقاموا بما ورثوا خير قيام، فأقاموا الحجة على خلقه، يدعونهم إلى دينهم الصحيح ويحمونه من شوائب الشرك والبدع. وأحب أنَّ أبين من هؤلاء العلماء الذين اختارهم الله لنشر توحيده ودفع الشرك عنه، ولإحياء السنة وإماتة البدع في الهند، العلامة محمد بشير السهسواني رحمه الله. ولذا اخترت أن يكون بحثي في جهود العلامة محمد بشير السهسواني الهندي في تقرير توحيد الألوهية, فهو جدير بأن ينوَّه بجهوده ويكتب عنه، وبخاصة أنّه رجل أعجمي, من أعلام أهل السنة والجماعة بالهند في زمانه.

Abstract:

The efforts of the Indian scholar Muhammad Bashir Al-Sahsawani in establishing Tawhid al-Uloohiyah and his responses to those who differ in it.

The purpose for which the heavens were raised, the earth was spread out, the books were sent down, the messengers were sent, is to single out Allah in divinity and worship, and it is Allahs right over His servants. Among the greatest blessings of Allah for the mankind is His guarantee of preserving this religion until the Day of Judgment, and He has fulfilled His promise by sending the scholars who work according to the Qur'an and the Sunnah in every time and place, and He makes them inheritors to His prophets. The scholars inherited knowledge and deeds, so they carried out what they inherited in the best way, establishing the proof for His creation, calling them to their true religion and protecting it from the impurities of polytheism and heresy. Therefore, I chose to focus my research on the efforts of the Indian scholar Muhammad Bashir al-Sahsawani, may Allah have mercy on him, in establishing the monotheism. He deserves to have his

* طالب ماجستير بتخصص العقيدة والدعوة, جامعة الملك عبد العزيز, جدة.

** الأستاذ المشارك في العقيدة والدعوة, بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, جدة, المملكة العربية السعودية.

efforts noted and written about, since he is a non arab scholar who is considered one of the most prominent figures of the ahlu sunnah in India during his time.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال الله سبحانه وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١٠٢)، ﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتقوا رَبَّكُمُ الذي خلقكم من نفس واحدةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١), ﴿يالها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْنَكُمْ وَمَنْ يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠,٧١)، أما بعد, فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار. وبعد

فإن الغاية التى رفعت من أجلها السماوات، وبسطت الأرض، وأنزلت لتقريرها الكتب، وأرسلت لبيانها الرسل، وقامت بها الحدود، وشرعت من أجلها الشرائع, وسلت من أجلها سيوف الجهاد، وانقسمتِ الخليقة بسببها إلى سعداء وأشقياء، هى توحيد الله بالعبادة، وإفراده بالألوهية، وهي حق الله على عباده. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ (الذاريات:٥٦)، فهو خلقهم ليعبدوه؛ ويدينوا بعبادته الجامعة, وأوجدهم لمعرفته والإنابة إليه والتوجه فى كل الأمور إليه. فأول أمر في القرآن على حسب ترتيب السور هو الأمر بالتوحيد، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: ٢١). وأول نهي فى القرآن على حسب ترتيب السور فى المصحف المعروف هو النهي عن الشرك، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

فلما عرفنا أن الغاية من هذه الحياة هي إقامة التوحيد في قلوبنا وأوطاننا، فمن المهم أيضًا أن نعرف أن أفضل العمل هو الدعوة إلي التوحيد. فتعليم التوحيد والدعوة إليه من أهم الرسالات، وأفضل الأعمال، لأنها رسالة الأنبياء والمرسلين، والدعاة المصلحين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صلحا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت ٣٣). والعلماء الربانيون هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم والعمل، فسعوا في مشارق الأرض ومغاربها، لينشروا العلم والعمل في ضوء ما تحملوه عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، والسلف الصالح،

من علم وفقه وعمل.

ومن عظيم نعم الله الخاصة بالأمة الإسلامية تكفله بحفظ الدين إلى يوم الدين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩), وقد صدق وعده بتسخير العلماء العاملين بالكتاب والسنة في كل زمان ومكان، ويجعلهم ورثة لأنبيائه ورثوا عنهم العلم والعمل فقاموا بما ورثوا خير قيام، فأقاموا الحجة على خلقه، يدعونهم إلى دينهم الصحيح ويحمونه من شوائب الشرك والبدع .

وأحب أنَّ أبين من هؤلاء العلماء الذين اختارهم الله لنشر توحيده ودفع الشرك عنه، ولإحياء السنة وإماتة البدع في الهند، العلامة محمد بشير السهسواني رحمه الله.

ولذا فقد اخترت أن يكون بحثي في جهود العلامة محمد بشير السهسواني الهندي رحمه الله في تقرير توحيد الألوهية والرد على المخالفين, فهو جدير بأن ينوَّه بجهوده ويكتب عنه، وبخاصة أنّه رجل أعجمي يعد أحد أعلام أهل السنة والجماعة في الهند في زمانه.

أسباب اختيار الموضوع:

١. العلماء ورثة الأنبياء فأردت أن أتناول شخصية من الشخصيات العظيمة, التي كان لها دور مؤثر في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة في الهند.

٢. عدم معرفة بعض طلبة العلم بجهود العلامة السهسواني العلمية، وحياته الشخصية فآثرت التعريف بهذه الشخصية التي من اطلع على آثارها رأى العجب، فربط الناشئة بالعلماء العاملين أمر مهم يرنى إليه.

٣. إبراز آراء واعتقادات الشيخ الخاصة بتوحيد الألوهية وبيان أنه اهتم به غاية الاهتمام, وحققه أعظم تحقيق, ودعا الناس إليه, وحارب ما يضاده أو ينقصه.

٤. إثراء المكتبات الإسلامية بدراسات خاصة بجهود العلماء البارزين في قيام عقيدة السلف في الهند.

٥. بيان منهج الشيخ في توحيد الألوهية وردوده على المخالفين ليحذوا حذوه طلبة العلم والدعاة الى الله تعالى.

أهداف البحث:

١. جمع جهود الشيخ في تقرير توحيد الألوهية .

٢. النتبيه على انحرافات في توحيد العبادة بين أوساط المسلمين في الهند.

٣. بيان موقف الشيخ من دعوة الإمام محمد بن عند الوهاب.

٤. جمع جهود الشيخ فيما يتعلق بالردود على المبتدعة.

حدود البحث:

١. تقتصر الدراسة على جمع جهود العلامة السهسواني في تقرير توحيد الألوهية فقط وردوده على المخالفين.

٢. البدعة والشرك ليس خاصا بمكان أو زمان معين. وحتى بعد ١٤٠٠ عام من الإسلام، لا نزال نجد اليوم مظاهر الشرك الذي كان في أيام الجاهلية. ولذلك لا أنصف إذا قلت أن هذه الدراسة تتناول زمان الشيخ ومكانه، بل أقول أن هذه الدراسة تتناول جهود الشيخ في إثبات التوحيد وردوده على المخالفين في زمانه وحتى الآن إن شاء الله تعالى.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة أو رسالة علمية تتعلق بجهود الشيخ بشير السهسواني في تقرير التوحيد، ولا في غيرها في الجهود التي بذلها.

صعوبات البحث:

١. جميع كتب هذا الشيخ باللغة الأردية باستثناء الكتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان". لذلك يجب ترجمة بعض أقواله التي متعلقة بالبحث إلى اللغة العربية. وهذا يحتاج إلى المزيد من الجهد والوقت والمراجعة.

٢. صعوبة وصول بعض الكتب الأخرى الهامة المتعلقة بالبحث حتى انها غير متوفرة إلا في مكتبات محددة قريبة من مكان الشيخ وهي "سهسوان" في شمال الهند التي تبعد عن مكاني(مدراس في الجنوب الهند) حوالي ٢٤٠٠ كيلومتر. لذلك يتطلب الأمر السفر إلى هناك أو الحصول على تلك الكتب عبر وسائل أخرى.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمقدمة:

تشتمل على أسباب اختيار هذا الموضوع وأهداف البحث, وحدود البحث والدراسات السابقة, وصعوبات البحث , والخطة البحث, والهيكل العام للبحث.

والتمهيد: قد خصصته لترجمة مختصرة للعلامة بشير السهسواني رحمه الله, وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته الشخصية, وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته

المطلب الثاني: نشأته وصفاته

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني: حياته العلمية, وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: مكانته العلمية
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه
المطلب الثالث: مؤلفاته
المطلب الرابع: جهوده الدعوية
المطلب الخامس: إستقامته وتدينه
المبحث الثالث: مناظراته, وفيه مطلبان:
المطلب الأول: مناظرته مع الشيخ عبد الحي اللكنوي
المطلب الثاني: مناظرته مع مرزا غلام أحمد القادياني
الفصل الأول: جهود السهسواني في تقرير توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:
المبحث الأول: تعريف توحيد الألوهية، وأهميته, وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول: تعريف التوحيد وأقسامه
المطلب الثاني: تعريف الشيخ لتوحيد الألوهية
المطلب الثالث: أهمية توحيد الألوهية
المطلب الرابع: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية
المبحث الثاني: طريقته في تقرير توحيد الألوهية، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: اعتماده على الكتاب والسنة
المطلب الثاني: الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع
المطلب الثالث: اعتماده على أقوال الصحابة وأئمة السلف
الفصل الثاني: جهود السهسواني في ردوده على المخالفين, وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: الشرك وانواعه
المبحث الثاني: زيارة القبور الشرعية والبدعية
المبحث الثالث: التعظيم الشرعي للرسول صلى الله عليه وسلم والتعظيم البدعي المنهي عنه
المبحث الرابع: الشرك في بعض العبادات, وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: الدعاء والإستغاثة
المطلب الثاني: الشفاعة
المطلب الثالث: الوسيلة والتوسل
المطلب الرابع: النذر
الفصل الثالث: موقف السهسواني من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وسائر الدعوة النجدية, وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: المراد بنجد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: رده على من يتهم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب كفر المسلمين
المبحث الثالث: دفاعه عما فعل الأمير سعود في تلك فترة الزمنية
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات العلمية.

هذه الخطة قابلة للتعديل حسب ما يقتضيه البحث, ولا يخرج به عن صلب الموضوع المتعلق بالبحث.

التمهيد

ترجمة مختصرة للعلامة محمد بشير السهسواني رحمه الله[1]

المبحث الأول: حياته الشخصية

(١) هذه الترجمة منقولة عن عدة مراجع, اغلبهم في اللغة الأردية ومنها: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان, لبشير السهسواني, تحقيق محمد بن طاهر(ص:٢٤), نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر, لشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني(ص: ١٣٥٢), تذكرة النبلاء في تراجم العلماء, لعبد الرشيد عراقي(ص:٢٥٠), دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية, لأبو المكرم بن عبد الجليل(ص:٦٣), دبستان حديث, لمحمد إسحاق باتي(ص:٢١٦).

المبحث الأول
حياته الشخصية
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته
المطلب الثاني: نشأته وصفاته
المطلب الثالث: وفاته.

(a) المطلب الأول

(b) اسمه ونسبه وأسرته

هو العلامة النحرير، الشيخ محمد بشير، المحدث الفاروقي ابن الحكيم محمد بدر الدين. كان تذكار السلف الصالحين في الفضائل والكمالات وأعظم مفخرة في العلم والحكمة، كان من المجددين للدين، وأحد المحققين المتأخرين، الذي بلغ درجة الاجتهاد المطلق في عصره.

يعود نسبه إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). كان جده مقيما في

ثانيسار التي تقع في غرب البنجاب في شمال الهند ، ثم تركها واستقر في سهسوان[١]. كان قد درس مع مختلف العلماء وكان معروفا بأنه رجل مستقيم وصالح.

ولد العلامة محمد بشير السهسواني حوالي عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م [٢] في سهسوان, هي مدينة قديمة ذات تاريخ غني. كانت سهساوان مدينة للتعلم والعلوم الإسلامية وعدد كبير من العلماء ينحدرون من هناك. كان عدد كبير من علماء أهل الحديث يعيشون فى سهسوان.

وللشيخ محمد بشير ثلاثة من الإخوة وهم: الحكيم خورشيد حسن، وهو أكبر أبناء بدر الدين, والثانى: الحكيم محمد نذير, والثالث: الشيخ الفاضل مظهر على وابن عمه هو الشيخ الفاضل نور الحسن بن نياز العمري السهسواني أحد المبرزين في الصناعة الطبية, أما أولاد الشيخ فهم نذير حسن الذي أكمل دراسته على والده، وزوَّجه الشيخ، لكنه توفى في عنفوان شبابه وعمره آنذاك ١٧ سنة, وللشيخ أيضاً بنت واحدة عاشت بعده بمدة.[٣]

---

(١) هى مدينة فى منطقة Budaun(بودان) فى ولاية أوتار براديش فى شمال الهند.

(٢) اختلف فى تاريخ مولده فقيل فى سنة ١٢٤٩هـ تقريباً، أوفى السنة التى بعدها, وقيل: فى سنة ١٢٥٤هـ, وبعضهم لم يعين تاريخاً فقال كانت فى نتصف القرن الثالث عشر الهجري. وقد قبل المؤرخون عموما أن ولادته كانت حوالي عامى١٢٥٠هـ - ١٢٥١هـ بناء على أقوال تلميذ الشيخ.

(٣) تراجم علماء حديث هند لنوشهري (ص:٢٢٥), دابستان حديث لمحمد اسحاق باتي (ص:٢١٦), تذكرة النبلاء في تراجم العلماء لعبد الرشيد العراقي (ص:٢٣٨)

المطلب الثاني

نشأته وصفاته

والد الشيخ محمد هو حكيم محمد بدر الدين الفاروقى, كان طبيبا ويقيم فى لكناو[١]. لذلك قضى الشيخ حياته المبكرة في لكناو، وهنا تلقى تعليمه المبكر، في ظل توجيه والده.

وكان والد الشيخ طبيباً مشهوراً تعلم الطب ودرسه على يد الشيخ شاه رافع

الدين محدث الدهلوي. كما درس"القانون", هو كتاب ابن سينا الطبى. كان والد الشيخ يعالج الجميع بدءًا من الفقراء إلى النخبة وحتى حصل على ألقاب فخرية من حاكم دولة أوده(٢).

توفي والد الشيخ حوالي عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م وكان الشيخ محمد بشير حوالي ١٠ سنوات. وبعد ذلك عاد إلى مكانه سهسوان مع والدته.

كان الشيخ بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه. وكان الشيخ ذا أخلاق عالية, اتسم بحسن المعاملة, وكان يخالط أحبابه بلا تكلف ولا احتشام, ويكثر من إكرام الضيوف وإمداد الغرباء, بلا رياء ولا عجب ولا سمعة، وكان نصب عينيه اتباع آداب الكتاب والسنة، حتى كان يثقل على طبعه ترك المستحبات، وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العملية واعترفوا له بها.

قال الشيخ محمد رشيد رضى في مقدمة كتاب "صيانة الإنسان": "وكل من وقف على بعض عباراته في هذا الكتاب وجد ذلك الأدب الجم حتى مع خصومه, فلا يقابل الشتم بنظيره, ولا يرد الباطل بمثله, بل يحق الحق, ويبطل الباطل, بأسلوب علمي, رصين, يتخلله أدب عال في طرحه ومناقشته."(٣)

---

(١) هي مدينة في ولاية أوتار براديش في شمال الهند.

(٢) دولة أوده ، كانت دولة ملكية إسلامية شيعية وولاية أميرية لاحقة في منطقة عوض شمال الهند، أسسها برهان الملك سعادت علي خان الأول اوائل عقود القرن الثامن عشر وحكمها نواب عوض زهاء مائة وستة وثلاثين عاماً منذ سنة ١٧٢٢م حتى حصارها وضمها على يد البريطانيين في عام ١٨٥٨م ليكون آخر حكام نواب عوض برجيس قدر.

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ السهسواني.(ص:٢٠)

المطلب الثالث

وفـاتـه

مرض الشيخ أثناء وجوده في دلهي[١] وتوفي في يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ /١٩٠٨م وكان عمره حينئذ أربعاً وسبعين سنة (إنا لله وإنا إليه راجعون) طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه. ودفن بجوار أستاذه الشيخ العلامة السيد نذير حسين[٢] في مقبرة شيدي فوه[٣].

والشيخ السيد المولوي إعجاز أحمد السهسواني[٤] أنشد في ذلك قصيدة عربية فصيحة بليغة لا بأس بإيراد شيء منها قال:

خطب أباد نفوسنا لكبيرُ
وكذا الزمان على النفوس يجور
أما الهدى فتضعضعت أركانه والدين
أسقمه ضنىً وفتور
شمس الضحى أفلت وغاب شروقها فإذا النهار كليلنا
ديجور

وقال بعد هذا ولله دره:

قد مات من مات العلوم بموته لا سيما الأخبار والتفسير تبكي عليه
مساجد ومنابر ولأهل علم رنة وزفير
قد كان مجتهداً مصيباً ناسكا يحمي الشرائع سعيه المشكور
متخاشعاً لله منقاداً له متلألئاً من وجهه التنوير
نقاد إسناد الحديث متنه كشاف أسرار الكتاب بصير
لما سألت القلب عام وفاته فأجابني تاريخه مغفور.[٥]

(١) دلهي هي ثاني أكبر مدينة هندية بعد مومباي . تقع دلهي في شمال الهند.
(٢) هو من أشهر العلماء الأثريين بالهند, وفاته ١٣١٩هـ.

(٣) مقبرة تقع في دلهي, شمال الهند.
(٤) هو من أشهر العلماء الأثريين بالهند, وفاته ١٣٨٢هـ.
(٥) دابستان حديث لمحمد اسحاق باتي (ص:٢٢٣)

المبحث الثاني
حياته العلمية
وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: مكانته العلمية
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه
المطلب الثالث: مؤلفاته
المطلب الرابع: جهوده الدعوية
المطلب الخامس: استقامته وتدينه

المطلب الأول
مكانته العلمية[١]

قضى زمن طفولته في لكنو، وبدأ فيها تعلمه بالقراءة على الشيخ محمد واجد علي، وعلى بعض أفاضل فرنجي محل، قرأ فنون المعقولات والمنقولات المتداولة، ثم ذهب إلى دهلي لتكميل علوم التفسير والحديث والفقه والأصول، فقرأ على السيد أمير حسن بعض الكتب الدينية، وأخذ عن مولانا سيد حسين كتب الصحيح والسنن الستة وغيرها سماعاً وقراءة، واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمني والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة، والشيخ محمد السهارنبوري المهاجر بمكة.

وبعد فراغه من الطلب اشتغل أولاً بتدريس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة، ثم حصل له انهماك كثير في الفقه والأصول والأدب، وكان يفتي في الفقه موافقاً لمذهب الحنفية، ثم صاحب السيد أمير حسن فغلب عليه ذوق التحقيق في الدينيات، وتقدم في تحقيق اتباع القرآن والحديث، ومن ذلك الحين رجع في تحقيق جميع المسائل الجزئية والفرعية إلى الكتاب والسنة، وشرع في العمل بالحديث على طريقة المجتهدين، وصار يفتي بوجوب ترك الآراء والتقليد الشخصي، وكل مسألة وقع فيها اختلاف بين الأئمة الأربعة كان يراجع فيها مسلك المحدثين بأقوال السلف وآثار

الصحابة، وكان يستدل لكل مطلب بالحجج القوية، ويستنبط شواهده من الكتاب والسنة.

ولما سافر الشيخ إلى الحجاز ونجد لأداء فريضة الحج درس على أمثال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الشرقي النجدي(ت ١٣٢٩هـ) والشيخ محمد بن عبد الرحمن الصحرنبوري الذي هاجر إلى مكة وحصل على الإجازة في الحديث. كان رحمه الله يصرف أكثر أوقاته في التدريس والوعظ والإرشاد، فتنقل لأجل هذا الغرض في عدة بلدان، وبقي في بعضها سنوات طويلة، فذهب أولاً: إلى بلدة سِلهت فَدرَّس فيها سنة كاملة.

ثم بعد ذلك انتقل إلى بلدة سهسرام فبقي فيها سنة كاملة أيضاً. ثم عين مدرساً للغة الفارسية والعربية في كلية سنت جونس بمدينة آكره بشمال الهند، فكان يدرس في الكلية، وأيضاً في منزله الذي جعله مشرعاً لاستقبال الطلاب الراغبين، وبقي في هذه المدينة خمس عشرة سنة. وفي الخامس من شهر الله المحرم سنة ١٢٩٥هـ استدعاه النواب صديق حسن خان من آكره إلى بهوبال وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال، فكان يجلس لتدريس التفسير والحديث، ويجيب عن المسائل، ويكتب الفتاوى بطريق الاجتهاد، وفي كل جمعة يجلس لدرس الوعظ في جامع القاضي.

(١) دابستان حديث لمحمد اسحاق باتي (ص:٢١٧), ٤٠ علماء من اهل الحديث لعبد الرشيد العراقى (ص:٦٦), تراجم علماء حديث هند لنوشهري (ص:٢٢٥), تذكرة النبلاء في تراجم العلماء لعبد الرشيد العراقي (ص:٢٣٨)

المطلب الثاني

شيوخه وتلاميذه[١]

شيوخه:

من خلال ما تقدم ذكره من سيرة الشيخ العلمية والرحلات التي قام بها في طلب العلم، يمكن التعرف على جملة من المشايخ الذين أخذ عنهم الشيخ محمد بشير وأفاد منهم، وهم كالتالي:

- المحدث الكبير نذير حسين الدهلوي(ت:١٣٢٠هـ).
- المحدث أمير حسن السهسواني(ت:١٢٩١هـ).
- المفتي واجد علي بن إبراهيم الحنفي البنارسي(ت:١٢٧٦هـ).
- الشيخ هداية الله الرامفوري(ت: ١٣٢٦هـ).
- الحكيم نور الحسن السهسواني(ت: ١٢٩٧هـ).

وتحصل على الإجازة الحديثية من:

- الشيخ المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليمني(ت: ١٣٢٧هـ).
- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي(ت: ١٣٢٩هـ).
- الشيخ محمد السهارنفوري المهاجر المكي(ت: ١٣٠٨هـ).

تلاميذه:

تقدم أن الشيخ رحمه الله أمضى عمراً مديداً في التدريس والإفادة؛ فكثر طلابه والآخذون عنه، ومنهم:

- العلامة المحدث أحمد الله الدهلوي(ت:).
- الشيخ العلامة إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب(ت: ١٣١٩هـ).
- الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق النجدي(ت:١٣٤٩).
- الشيخ الحكيم مظهر علي بن بدر السهسواني(ت:١٣١٦هـ)، قرأ على أخيه الشيخ محمد بشير، ولازمه مدة من الزمان.
- الشيخ إعجاز أحمد بن عبدالباري السهسواني(ت: ١٣٨٢هـ).
- الشيخ الفاضل محمود بن محمد السورتي(ت: ١٣١٥هـ).

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان, لبشير السهسواني(ص: ٣٠-٣٧)

المطلب الثالث

مؤلفاته

كان الشيخ كاتباً غزير الإنتاج. ومن هذه المؤلفات:

(١)صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان

لما ذهب الشيخ السهسواني إلى الحجاز لأداء فريضة الحج دارت مناظرة في التوحيد مع الأشاعرة والمفتي الشافعي الشيخ أحمد بن زيني دحلان. كما قام الأخير بتأليف كتاب "الدرر السنية في الرد على الوهابية". وقد ألف الشيخ السهسواني عند عودته إلى الهند كتابه في الرد على جميع الادعاءات وتحريف دحلان وافترائه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب. الكتاب في شكل مناقشة ويحتوي على بعض المناقشات التفصيلية للغاية. طبع لأول مرة في ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وقد طبع عدة مرات.

الكتب الثلاثة التالية تتعلق بزيارة قبر الأنبياء:

(٢) القول المحقق المحكم في حكم زيارة قبر الحبيب الأكرم
(٣) القول المنصور فى الرد على الكلام المبرور
(٤) إتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة

(٥) البرهان العجاب في مسألة فرضية أم الكتاب

وهذا الكتاب على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، وهو أيضاً كتاب مفصل جدا والرد على من يقول غير ذلك. وكان الشيخ يلقي درسا كل يوم بعد الفجر لمدة ٣ أشهر تقريبا في دلهي. وسجل تلميذه الشيخ أحمد الله الدهلوي كل كلمة ونشرها في كتاب بهذا العنوان. طبع هذا الكتاب سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

(٦) القول المحمود في رد جواز السود (أي الربا)

هذا جواب لمن أحل الربا. وقد ألف هذا الكتاب في زمن الشيخ مقيمًا في دلهي ولم يُنشر فى حياة الشيخ، وقد تم ذلك في سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م

(٧) رسالة في إثبات البيعة المروجة

هذا الكتاب يتعلق بجواز المعاملات التي كانت سائدة في الهند في عهد الشيخ.

(٨) الحق الصريح في إثبات حياة المسيح

المناظرة التي دارت بين الشيخ السهواني وميرزا غلام القادياني في مسألة وجود المسيح حي، تم تأليف هذا في شكل كتاب مع بعض النقاط الإضافية وطبع بهذا العنوان حوالي عام ١٣١٣هـ.

قال الشيخ أبو يحيى إمام خان نوشهر إن الشيخ السهسواني له مؤلفات كثيرة بعضها مفقود والبعض الآخر لم يطبع.[١]

له بعض الرسائل طبعت منسوبة إلى بعض تلاميذه[٢].

هذه بعض كتبه التي لا تتوفر تفاصيل عنها:

السيف المسلول, معيار الصرف, مصباح المنطق, رحمة الباري في سوانح البخاري, الكلام المشكور في مكائد أهل الزور, النعل المعكوس على ظهر المنكوس, الأدلة الكاملة.[٣]

(١) تراجم علماء حديث هند لنوشهري (ص:٢٢٥)

(٢) صيانة الإنسان لبشير السهسواني (ص: ٢٢)

(٣) نزهة الخواطر لشريف عبد الحي(ص: ١٣٥٣)

المطلب الرابع

جهوده الدعوية

كان الشيخ على طريقة التقليد في سنواته الأولى حتى دراسته وتربيته الدائمة على معلمه الأول الشيخ السيد أمير حسن السهسواني الذي غرس فيه حب القرآن والإعجاب به والسنة. وبعد ذلك ترك الشيخ التقليد وتمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف.[١]

قال تلميذ الشيخ, الشيخ عبد الباقي السهسواني عندما درس الشيخ محمد بشير السهسواني كتب العلوم العقلية والمنطق والفلسفة والفقه والأصول كان يميل إلى التقليد والحنفية المذهب ويصدرون الفتاوى بناء عليه. ولكن عندما جلس في دروس

الشيخ السيد أمير حسن واستفاد من منهجه، وازداد ميله للبحث، مما دفعه إلى اتباع الكتاب والسنة، وكان يرجع إليه في كل مسألة. واعتمد منهج العمل بالحديث ويعتقد بوجوب ترك تقليد أشخاص وآراء معينة.[٢]

في البداية, أمضى عامًا في التدريس في بنغلاديش ثم عامًا آخر في ولاية بيهار. وأعقب ذلك ١٥ عامًا من التدريس كأستاذ في أكبرأباد. وهذا ما سيفعله في اليوم وثم في المساء كان يعلم القرآن والحديث ويعطي الدروس في منزله. حيث وجد تدفق مستمر من الطلاب إلى تجمعاته التعليمية خلال النهار والمساء، من شأنه ليستفيد الطلاب كثيرا من علمه.[٣]

وكان رحمه الله وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف، يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد، ثم صار مدرساً للغة الفارسية والعربية في كلية سنت جونس بمدينة آكره، وزيادة على هذا كان يدرس للطلبة الذين يجيئون إلى داره فنون المعقول والمنقول، فقرأ عليه الحكيم مبارك علي والحكيم معصوم علي كتاب (الأفق المبين) واشترك في هذا الدرس السيد أمير أحمد السهسواني.

غادر الشيخ بوبال في حوالي عام ١٣١٩هـ وقضى ما يقرب من ٦-٧ سنوات في دلهي حيث قام بتدريس التفسير والحديث، كما نشر بعض الكتب واشتغل بالإجابة على الأسئلة العامة للناس أي الإفتاء. وواصل الشيخ التدريس مكان أستاذه الشيخ المحدث السيد نذير حسين الدهلوي بعد وفاته في دلهي وبقي على هذا المنصب حتى مات.[٤]

(١) تراجم علماء حديث هند لنوشهري (١:٢٥٠)
(٢) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية لأبى مكرم بن عبد الدليل (ص:٦٣)
(٣) ٤٠ علماء من اهل الحديت لعبد الرشيد العراقي (ص:٦٦)
(٤) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها لأبي مكرم بن عبد الدليل (ص:٦٣)

وكانت عادة الشيخ مدة مقامه في دلهي أن يعقد مجالس للتدريس في جميع العلوم ومن ذلك ساعتان بعد صلاة الصبح لتفسير القرآن بالحديث وكان الناس يحضرون من أماكن بعيدة لاستماع هذا الدرس بشوق عظيم. العلامة سهسواني كان خطيبا استثنائياً ، ألقى حلقات في تفسير القرآن لسنوات في دلهي وكان يجلس كثير من العلماء في ذلك الوقت في دروسه.

قال الشيخ أبو يحيى الإمام خان نوشهري عن الشيخ السهسواني: "سهسوان, هي المنطقة التي أنتجت العلماء لسنوات عديدة, فإذا خرج عالم من هناك فهو لن يكون غير عادي أو شياً لم يسمع به من قبل إلا أن عالماً مثله ولد في القرن الثالث عشر ، أعطى عصره إشعاعا ومنطقته، سهسوان هذا الاعتراف الذي يجعلنا نتذكرها إلى الأبد."[١]

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" كان الشيخ محمد بشير السهسواني من فحول علماء الهند وكبار رجال الحديث فيهم ومن النظار الجامعين بين العلوم الشرعية والعقلية مع العمل بالعمل والتقوى والصلاح"[٢]

قال الشيخ بديع الدين شاه السندي في "هداية المستفسد": "شيخ المشايخ الوحيد، محدث عصره، تجسيد التقوى، العلامة الجليل العامل بالإسلام كاملا, الشيخ المعروف محمد بشير بن بدرالدين السهسواني, المتوفى سنة ١٣٢٦هـ، وهو مؤلف "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان", التي أحدثت دماراً في دوائر أهل البدع، وله أيضًا ثلاث رسائل في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، والقول المحكم، والقول المنصور، إتمام الحجة".[٣]

(١) تراجم علماء حديث هند لنوشهري (١:٢٥٠)

(٢) صيانة الإنسان لبشير السهسواني (ص: ١٤)

(٣) https://www.salafiri.com/١٠-radiant-scholars-of-ahl-al-hadith-ahl-al-bidah-wished-were-never-born-shaikh-muhammad-bashir-sahaswani-

المطلب الخامس

استقامته وتدينه

ولم يكن للشيخ سوى ولد واحد ولد عام ١٢٨٨هـ, اسمه نذير حسين على اسم أستاذه الشيخ نذير حسين محدث الدهلوي. ركز الشيخ على الأخلاق وربى ابنه على الكتاب والسنة واجتهد في تعليمه. قام الشيخ بتزويج ابنه وهو في السابعة عشرة من

عمره. ومع ذلك، بعد ٦ أشهر فقط توفي ابنه في سنة ١٣٠٥هـ.

لقد كان هذا وقتًا صعبًا واختبارًا بالنسبة للشيخ، حيث فقد ابنه الوحيد في هذه السن المبكرة، وحتى ذلك بعد ٦ أشهر من الزواج. فصبر الشيخ واستمر في التدريس واستقامة على عبادة الله.

في عهد الشيخ كان زواج المرأة للمرة الثانية بعد وفاة زوجها الأول يعتبر خطيئة، وذلك بسبب الثقافة الهندوسية السائدة في ذلك الوقت.

ولم يهتم الشيخ بهذا الاعتقاد وقام بترتيب زواج آخر لزوجة ابن على نفقته. وبهذه الطريقة طبق الشيخ ما تعلمه وكان قدوة للمسلمين.[١]
تراجم علماء حديث هند (ص:٢٥٠)
المبحث الثالث
مناظراته رحمه الله

وفيه مطلبان:
المطلب الأول: مناظرته مع الشيخ عبد الحي اللكنوي
المطلب الثاني: مناظرته مع مرزا غلام أحمد القادياني
المطلب الأول
مناظرته مع الشيخ عبد الحي اللكنوي

وقد خرج حاجاً من آكره ولما رجع من الحج -أي بلا زيارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاعترضوا عليه- صنف كتاب "القول المحقق المحكم في حكم زيارة قبر الحبيب الأكرم"، فرد عليه الشيخ عبد الحى اللكنوي بكتاب أسماه "الكلام المبرور", فرد عليه الشيخ بكتابه "القول المنصور"، فكتب جوابه الشيخ عبد الحى اللكنوي "المذهب المأثور"، فكتب الشيخ جوابه وجمع فيه جميع الاعتراضات على هذه المسألة من قديم وحديث وأجاب عنها كلها بجواب جامع سماه "إتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة"

والمعارضون له وان كانوا قد كتبوا فى جوابه لم يلتفت أهل التحقيق إلى جوابهم، ومع ذلك فقد كتب الشيخ جواباً على ذلك لكنه لم يطبع، وكان ابتداء هذا البحث من السيد إمداد على الذي كان من أكابر تلاميذ الشيخ بشير الدين القنوجى، لكن الشيخ إمداد على لما أحس بضعفه عن مقابلة الشيخ بشير دعا الشيخ عبد الحي لهذا الميدان وفوض إليه الأمر، وأعطاه جميع ما كتب.

وامداد على هذا كان نائب مدير المقاطعة، وكان الشيخ بشير المترجم مع ذلك كلما ذهب إلى لكنو نزل ضيفاً على الشيخ عبد الحي، فيستقبله بالاحترام والبشاشة، ويمسكه فى ضيافته أياماً كثيرة أزيد مما يريد الشيخ، ويجلس فى درس وعظه مستمعاً مع الأدب والتوقير للشيخ، وفى أيام مقامه بآكره حصل للشيخ أمير أحمد السهسواني مع الشيخ بشير اختلاف في بعض المسائل الفرعية، وكان الشيخ أمير أحمد يدفع فيها بلين والشيخ بشير يخالفه بالشدة، ثم انتهى الأمر إلى الاعتراف بالحق والمصالحة بينهما.[١]

صيانة الإنسان لمحمد بشير السهسواني (ص:١٩)

المطلب الثاني

مناظرته مع مرزا غلام أحمد القادياني

كان الشيخ السهسوانى مناظرا ممتازا. تحدى مرزا غلام القادیانی العلامة السيد نذير حسين الدهلوي فى المناظرة، لكنه كان مريضا وكبيرا فى السن. اجتمع جميع طلابه للمناظرة، لكنه اختار العلامة السهسواني لمناظرة ميرزا القادياني.

كان مرزا غلام أحمد ادعى انه المهدي المنتظر ثم ترقي عن دعوى المهدوية لنفسه إلى دعوى المسيحية وتحول عن اشتغاله بمناظرة المسيحيين, و"أر ياسماج"[١] من الهندوس إلى مناظرة علماء المسلمين، وكان لا يناظر إلا بالقرآن معرضا عن الأحاديث وأقوال الصحابة واشتهر أمره حتى صرح بطلب المناظرة، حينئذ أمرت بيكم[٢] بهوبال الشيخ محمد بشير أن يتوجه إلى دلهى لمناظرة المرزا، ولما لم يرض مرزا بالمناظرة الشفوية تناظرا كتابة وهما في دلهي وكل منهما في محله.

كان مرزا يصرح بموت المسيح مستدلا بقوله تعالى: { إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }(آل عمران: ٥٥) فعارضه الشيخ مثبتا حياة المسيح بقوله تعالي: { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ }(النساء: ١٥٩)

ثم أخذ مرزا على عادته يجادل بالتأويلات وينتقد القواعد النحوية والصرفية ليستدل على أن الآية لا تثبت حياة المسيح، فرد عليه الشيخ بأجوبة لم يستطع ردها، فانقطع عن المناظرة معتذرا بأن أحد أقاربه بقاديان مريض وانه سيسافر لعيادته، وجميع المكاتبات التي دارت في هذه المناظرة حتى انقطع المرزا مدونة في كتاب "الحق الصريح، إثبات حياة المسيح" وهو مطبوع وكانت تلك المناظرة في سنة ١٣١٢هـ.[٣]

(١) إنها حركة إصلاحية هندوسية تعمل على تعزيز القيم والممارسات القائمة على الإيمان بسلطة الفيدا(vedas) المعصومة من الخطأ. تم تأسيسها على يد الزاهد "دايانااند ساراسواتى" فى سبعينيات القرن التاسع عشر.

(٢) هو لقب ملكي وأرستقراطي يستخدم في آسيا الوسطى وجنوب آسيا. وهو المعادل المؤنث للقب بيق (baig) أو باي، والذي يعني في اللغات التركية «المسؤول الأعلى». عادة ما يشير إلى زوجة أو ابنة الباي

(٣) تذكرة النبلاء في تراجم العلماء لعبد الرشيد العراقي (ص:٢٣٨)

الفصل الأول

جهود السهسواني في تقرير توحيد الألوهية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف توحيد الألوهية، وأهميته

المبحث الثاني: طريقته في تقرير توحيد الألوهية

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية، وأهميته

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف التوحيد وأقسامه

المطلب الثاني: تعريف الشيخ لتوحيد الألوهية

المطلب الثالث: أهمية توحيد الألوهية

المطلب الرابع: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

المطلب الأول

تعريف التوحيد وأقسامه

التوحيد لغة:

مصدر للفعل (وحَّد، يوحِّد) توحيدا فهو موحِّد وهي الانفِرادُ، ومعنى وحَّده توحيدًا، أي: جعَلَه واحدًا[١] وقيل: ((تعريف التوحيد في اللغة: مشتق من وحد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحد يوحد، أي: جعل الشيء واحدا.))[٢]

التوحيد شرعا:

إفراد الله - سبحانه - بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. ويمكن أن يُعرف بأنه: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

التوحيد في القرآن:

استخدام هذا المصطلح (التوحيد) أو أحد مشتقاته للدلالة على هذا المعنى ثابت مستعمل في الكتاب فمن ذلك:

١. قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)(الإخلاص: ١)

قال ابن كثير رحمه الله: ((يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلَق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله، عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.))[٣]

٢. قوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة:١٦٣).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: ((والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له, ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد, فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم, وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير))[٤]

(١)القاموس المحيط للفيروزابادي (ص: ٣٢٤)

(٢)القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين – (١/ ٥)

(٣) تفسير القرآن الغظيم لابن كثير, (٥٢٧/٨)
(٤)جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري,(٧٤٥/٢)
التوحيد في السنة:

- عن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج))[١]
- عن أبي مالك، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ((من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله))[٢] وفي لفظ لمسلم: (من وحد الله))[٣]

مفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة:

ذكر أهل اللغة أن التوحيد تدور على الانفراد والاختصاص كما سبق. وقد عرفه أهل العلم بتعريفات متقاربة, قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات)).[٤] وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثباته له, لأن النفي وحده تعطيل, والإثبات وحده لا يمنع المشاركة. [٥]

ويبين ابن القيم رحمه الله حقيقة هذا المفهوم فيقول: ((وأما توحيد الرسل, فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه, وإثبات كونه فاعلا بمشيئته, قدرته واختياره, وأن له فعلا حقيقة, وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد, ويخاف ويرجى ويتوكل عليه...))[٦]

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: ((نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره))[٧]

---

(١)حديث رقم: ١٦, صحيح مسلم, كتاب الإيمان, باب بيان أركان الإسلام
(٢)حديث رقم: ٢٣, صحيح مسلم, كتاب الإيمان, باب الأمر بقتال الناس حتى يقول الشهادتين
(٣)المرجع السابق

(٤)مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(٢٦/١)
(٥)مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(١٧/١)
(٦)الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٩٣٣)
(٧)شرح عقيدة الطحاوية للإمام ابي العز الدمشقي(ص: ١٢٢-١٦٧)

اقسام التوحيد:

فمن العلماء من قسمه إلى قسمين (إجمالا) وهما[١]:

❖ التوحيد في المعرفة والإثبات:

ويسمى توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله. ومعناه: أن يتيقن العبد ويقر أن الله وحده هو الرب الخالق المالك المتصرف المدبر لهذا الكون، الكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، بيده الملك وهو على كل شيء قدير له وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلا: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١).

❖ التوحيد في المطلب والقصد:

ويسمى توحيد الألوهية والعبادة وهو إفراد الله بجميع أنواع العبادة كالدعاء والصلاة والخوف والرجاء ونحوها. ومعناه: أن يتيقن العبد ويقر أن الله وحده ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده دون سواه، فلا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة كالدعاء والصلاة والاستعانة والتوكل والخوف والرجاء والذبح والنذر ونحوها إلا للهِ وحده دون سواه، ومن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر كما قال سبحانه: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون:١١٧).

ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام (تفصيلا) هي:

❖ توحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك. فلا خالق إلا الله، كما قال تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢]، ولا مالك الا الله، كما قال الله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الملك: ١], ونحو ذلك.

(١) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة لمحمد التويجري, (ص:١٧)

❖ توحيد الألوهية:

وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها، فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك،

فلا ندعو إلا الله، كما قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠)

ولا نخاف إلا الله، كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥)

ولا نستعين إلا بالله، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)

❖ توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الثابتة من اسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وَصَفَه بها رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف لها، أو تأويل لمعناها، أو تعطيل لحقائقها، أو تكييف لها. فلا نصنعُ له اسماً أو صفةً ليست واردةً في الوحيين، ولا نشبِّهه بأحدٍ من خلقه، فهو سبحانه متّصفٌ بكلِّ كمالٍ، منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ. قال تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:١١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في الإرادة والقصد ، ويسمى الأول: التوحيد العلمي ، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي ، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة ، والثاني بالقصد والإرادة ، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية ، وتوحيد في الإلهية ، فهذه ثلاثة أنواع .))[١]

ففي سورة الفاتحة دلالة على هذه الأنواع الثلاثة, افتتحها الله تعالى بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[سورة الفاتحة: ٢] وهذا توحيد الألوهية, ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا توحيد الربوبية, ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهذان اسمان من أسماء الله يعني توحيد الأسماء

والصفات.[٢]

(١)مدارج السالكين في منازل السائرين(٣٧/١)

(٢)مدارج السالكين في منازل السائرين(١٠/١)

يبين الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله عن أقسام التوحيد: ((وذلك أن أصل الايمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الايمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد آنيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه

في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة

وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛

إذ قد علمنا أن كثيرا ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحا في توحيده. ولأنا نجد الله قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها.))[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له وهو متضمن لشيئين:

أحدهما: القول العلمي, وهو إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن النقائص وتنزيهه عن أن يماثله احد في

شيء من صفاته فلا يوصف بنقص بحال ولا يماثله أحد في شيء من الكمال.

الثاني: التوحيد العملي الإرادي, أن لا يعبد إلا إياه فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا إياه ولا يرجو إلا إياه ويكون الدين كله لله.

وهذا التوحيد يتضمن أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه لا شريك له في الملك فجاءت الجهمية ومن شاركهم في النفي فأدخلوا في التوحيد نفي الصفات وهو في الحقيقة تعطيل مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول وأخذ ذلك هؤلاء الملاحدة فزادوا في النفي.))[٢]

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: ((هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان، في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء))[٣].

سأبحث في هذا البحث عن كيفية تعامل الشيخ بشير السهسواني مع توحيد الألوهية ونقيضه من كتابه الشهير"صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"

(١)الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (١٧٢/٣)
(٢)كتاب الصفدية (ص: ٢٢٨,٢٢٩)
(٣)التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص: ٣٠)

المطلب الثاني

تعريف الشيخ لتوحيد الألوهية

عندما أنكر دحلان لتقسيم التوحيد وقال أن توحيد الربوبية هو عين توحيد الألوهية[١] فرد الشيخ بشير السهسواني عن زعمه وبين التعريف لتوحيد الألوهية وقال:

((لا مرية فى أننا مأمورون باعتقاد أن الله وحده هو ربنا, ليس لنا رب غيره, وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره, وأن لا نعبد إلا اياه. والأمر الأول هو الذي يقال له: "توحيد الربوبية", والأمر الثاني هو الذي يقال له: "توحيد الألوهية" , والإشراك فى الأولى يسمى: "الإشراك في الربوبية ", والإشراك في الثاني يسمى: "الإشراك في الألوهية ".))[٢]

ثم ذكر الشيخ بعض الآيات الدالة على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

((والآيات الدالة على الأمر الأول(توحيد الربوبية) كثيرة ومنها:

- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقوة: ٢٥٨)

- ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٤٩-٥١)

- (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...) (النساء: ٣٦)))[٣]

(١)الدرر السنية فى الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان (ص: ٨٣,٨٤)

(٢)صيانة الإنسان, ص:٤٤٤

(٣)صيانة الإنسان, ص: ٤٤٤,٤٤٥

و قال رحمه الله:

((واما الآيات الدالة على الأمر الثانى(توحيد الألوهية) فأكثر من أن تحصى, منها بعض ما ذكر لإثبات الأمر الأول من الآيات, ومنها ما أتلوا عليك الآن, فنقول:

- (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)
- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(البقرة: ٢١)

- (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ١٦٣)
- (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (المائدة: ٧٢)
- (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الأعراف: ٧٠)
- (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣١)

ولا أظنك شاكا فى أن مفهوم الرب ومفهوم الإله متغايران, وان كان مصداقهما في نفس الأمر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحدا, وذلك يقتضى تغاير مفهومى التوحدين, فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الإله, وأن يشرك واحد من المبطلين فى الألوهية, ولا يشرك فى الربوبية, وان كان هذا باطلا فى نفس الأمر, ألا ترى أن مصداق الرازق, ومالك السمع والأبصار, والمحيى والمميت, ومدبر الأمر, ورب العرش العظيم, ومن بيده ملكوت كل شيء, والخالق ومسخر الشمس والقمر, ومنزل الماء من السماء ومصداق الإله واحد ؟

ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما, ويشركون في الألوهية والعبادة.

والدليل عليه ما قال تعالى:

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) (يونس: ٣١,٣٢)

(قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ) (المؤمنين: ٨٤-٨٩)))[1]

ومن كل هذه المقالات للشيخ يتبين لنا أنه متفق مع تعريفات السلف في التوحيد وأقسامه. وفوق ذلك هو رد على من ادعى عكس ذلك.

---

(١) صيانة الإنسان, ص:٤٤٦,٤٤٧

المطلب الثالث
أهمية توحيد الألوهية

المقطع ١.٠٢ لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية, وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله, وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه, وبوجوده يكون الصلاح, وبفقده يكون الشر والفساد, ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم, يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]
(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦)

عدُّ توحيد الألوهيَّة من الفوارق بين الموحدين والمشركين، فقد بيّن القرآن الكريم عن المشركين في الآيات أنَّهم كانوا يقرُّون بأنَّ الله هو ربُّ هذا الكون، ولكنَّهم

كانوا يرفضون أن يتوجَّهوا إليه وحده فى العبادة، فكانوا يعبدون معه الأصنام والأوثان.

قال تعالى فى بيان حالهم: (قُل لِّمَن الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون*سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُون* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون* قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُون) (المؤمنون:٨٩-٨٤)

ونلاحظ هنا أنّهم يعترفون بأنَّ الله مالك السَّماوات والأرض وهو ربُّهما، ولم يكن هذا سبب كفرهم، بل كان سبب كفرهم أنَّهم صرفوا عباداتهم وطاعاتهم لغير الله، إذ كانوا يرفضون أن تقدَّم العبادة إلى إلهٍ واحدٍ. وقد قال -تعالى- في بيان حالهم:

(أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَاب) (ص: ٥)،

وهذا تلخيص حالهم، بأنَّهم يوحِّدون الله ربَّاً مدبِّراً للكون، ويرفضون أن يعبدوا الله وحده، لذا قال لهم سيدنا إبراهيم:

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُون اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُم * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُون اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون). (الأنبياء: ٦٦,٦٧)

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الموضوع: ((فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئا، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، ويدخل فى ذلك أن لا نخاف إلا إياه، ولا نتقى إلا إياه.))[١]

و قال أيضا: ((والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله، فالصلاة لله وحده، والصدقة لله وحده، والصيام لله وحده، والحج لله وحده، وإلى بيت الله وحده؛ فالمقصود من الحج: عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية.))[٢]

قال الشيخ بن باز رحمه الله عن أهمية توحيد الألوهية: ((لا ريب أن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان حقه على عباده ودعوتهم إلى إخلاص العبادة له سبحانه دون كل ما سواه، وتخصيصه بجميع عباداتهم لأن أكثر أهل الأرض قد عرفوا أن الله ربهم وخالقهم ورازقهم، وانما وقعوا فى الشرك به سبحانه بصرف عباداتهم أو بعضها لغيره.. جهلا بذلك وتقليدا لآبائهم وأسلافهم، كما جرى لقوم نوح ومن بعدهم من الأمم، وكما جرى لأوائل هذه الأمة، فإن الرسول ﷺ لما دعاهم إلى توحيد الله استنكروا ذلك واستكبروا عن قبوله))[٣]

وقال الشيخ ابنُ عثيمين رحمه الله: ((أوَّلُ واجب على الخَلق هو أوَّلُ ما يُدعى الخَلْقُ إليه، وقد بَيَّنَه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لمُعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه حين بعَثَه لليَمَن، فقال له: (إنَّك تأتى قومًا أهلَ كِتابٍ، فلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدعُوهُم إليه شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ)[٤] .

فهذا أوَّلُ واجِبٍ على العبادِ أن يوحِّدوا اللهَ عزَّ وجَلَّ، وأن يَشهَدوا لرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالرِّسالةِ. وبتوحيدِ اللهِ عزَّ وجَلَّ والشَّهادةِ لِرَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يتحَقَّقُ الإخلاصُ والمتابعةُ اللَّذانِ هما شَرْطٌ لِقَبولِ كُلِّ عِبادةٍ))[٥]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٣٦٥/٢)
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٣٧٠/٢)
(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٧/ ٤٥).
(٤) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩)
(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ٨٤).

المطلب الرابع

علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له فى ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢١، ٢٢)

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ومن المعلوم أن التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه والتنزيه الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه ، هو ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع؛ مثل عبادة الله وحده لاشريك له، فمن عبد غيره كان مشركًا ولم يكن موحدا، وإن أقر أنه خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: قُل لِّمَن الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤,٨٥] وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحد [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١] وأمثال هذه الآيات))[1].

بين الإمام ابن القيم رحمه الله أن القرآن كله دعوة إلى توحيد الألوهية: ((كل سورة فى القرآن هى متضمنة للتوحيد، بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه. فإن القرآن:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤٢٨/١)

١- إما خبر عن الله وأسمائه, وصفاته, وأفعاله، فهو التوحيد العلمى الخبري.

٢ - وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبى.

٣ - وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤ - واما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به فى الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥ - وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.))[1]

قال العلامة السهسواني رحمه الله في رد على دحلان: ((ولا أظنك شاكا في

أن مفهوم الرب، ومفهوم الإله متغايران، وان كان مصداقهما فى نفس الأمر، وفى اعتقاد المسلمين الخالص واحدا. وذلك يقتضى تغاير مفهومى التوحيد، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد "الرب" ولا يعتقد توحيد الإله، وأن يشرك واحد من المبطلين فى الإلهية، ولا يشرك فى الربوبية، وإن كان هذا باطلا فى نفس الأمر، ألا ترى أن مصداق الرازق، ومالك السمع والأبصار، والمحى والمميت، ومدبر الأمر، ورب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ومن بيده ملكوت كل شىء والخالق، ومسخر الشمس والقمر، ومنزل الماء من السماء، ومصداق الإله واحد؟ ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما ويشركون في الألوهية والعبادة))[٢]

(١) مدارج السالكين (٣/٤٦٩,٤٦٨)

(٢) صيانة الإنسان, (ص: ٤٤٧,٤٤٦)

المبحث الثاني

طريقته في تقرير توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اعتماده على الكتاب والسنة

المطلب الثاني: الحث على الإتباع والتحذير من الإبتداء

المطلب الثالث: اعتماده على أقوال الصحابة وأئمة السلف

المطلب الأول

اعتماده على الكتاب والسنة

إن أبرز ما يميز منهج السلف الصالح, منهج أهل السنة والجماعة, هو اعتمادهم على الكتاب والسنة, واعتبارها مصادر التلقي خصوصا في أبواب الاعتقاد, وذلك بخلاف سائر الفرق والطوائف, وهذه سمة بارزة, وعلامة فارقة بين أهل السنة وبين غيرهم من أهل البدعة.

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، قَالَ تَعَالَى :﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون ﴾ [الأعراف: ٣]. وقَالَ تَعَالَى :﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ﴾ [الزخرف: ٤٣]. وقَالَ تَعَالَى :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون ﴾ (الجاثية: ١٨)

والتمسك بالقرآن والسنة عصمة للعبد من الضلالة وهداية له، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه مِن حَدِيثِ جَابِرِ بنِ عَبدِاللهِ رضي اللهُ عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" (١)(٢)

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: ((الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة))(٣).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: ((وأما الكتاب والسنة فهما الأصلان اللذان يقدم الاحتجاج بهما في أحكام الشرع على ما سواهما, ويتلوهما الإجماع, وليس يعرفه إلا من عرف الاختلاف))(٤).

(١)صحيح مسلم برقم ١٢١٨))

(٢)مستدرك الحاكم (١ /٢٨٤) ، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (١ /١٢٥) "برقم ٤٠))

(٣)إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم(٢٤٨/٢)

(٤)كتاب الفقيه المتفقه(٤٠/٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((أما الاعتقاد، فإنَّه لا يُؤخذ عني ولا عمَّن هو أكبرُ مني؛ بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلفُ الأمَّة، فما كان في القرآن وجَب اعتقادُه، وكذلك ما ثبَت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيحي البخاري ومسلم)) (١)

ومتى ثبت الدليل من الكتاب, أو السنة أو إجماع السلف الصالح, وجب التزام مدلوله, ولم يجز لأحد مخالفته,فضلا عن معارضته, يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ما نطق به الكتاب وبينه, أو ثبت بالسنة الصحيحة, أو اتفق عليه السلف الصالح, فليس لأحد أن يعارضه: معقولا ونظرا, أو كلاما وبرهانا وقياسا عقليا أصلا, بل كل ما يعارض ذلك فقد علم أنه باطل علما كليا عاما.)) (٢)

فظهر بذلك أن الاعتماد على الكتاب والسنة هو منهج السلف, وهو المنهج الصحيح, وهو الحق الذي يجب اتباعه, وهذا كان عقيدة العلامة محمد بشير السهسواني رحمه الله في جميع مؤلفاته. صنف الشيخ السهسواني كتابه ((صيانة الإنسان)) لرد جملة من الندع التي كانت منتشرة في زمنه, وإظهار الأخطاء التي وقع فيها أحمد دحلان.

قال السهسواني في مسألة التعظيم النبي صلى الله عليه وسلم: ((وبالجملة

فنحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثابتة، سواء كان ذلك التعظيم فعليا أو قوليا أو اعتقاديا، والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثر.))[٣]

ولذلك فإنه عند تقريره للمسائل يعتمد على النصوص الشرعية، فتجده مثلا يقرر هذا الأصل في مواطن عدة منها: مسألة قدرة الحي على بعض الأشياء دون الميت، قال رحمه الله: ((إنَّ قدرة الحي على بعض الأشياء دون الميّت ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب، فمنه: ما قال الله تعالى في سورة البَقَرَةِ: (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٣٣]، ومنه ما قال فيها

(١) (٣) مجموع الفتاوى [٣/ ١٦١]
(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية, ١٣٦/٢
(٣) صيانة الإنسان (ص: ٢٤٤)

أيضاً: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦]...وأما الأحاديث فمنها ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ماتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُه إلا مِنْ ثلاثة، إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَة، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)[١]، وذكر أحاديث عدة))[٢].

وقد حرص الشيخ السهسواني على هذا المنهج عمليا – ألا وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة عند عرض المسائل التي أوردها في كتابه صيانة الإنسان, فإنه كان يكثر من إيراد الأدلة لتقرير المسائل, وتأصيلها, حتى يستوعب غالب ما ورد في الباب من أدلة شرعية.

(١) حديث رقم: ١٦٣١, صحيح مسلم, كتاب الوصية
(٢)صيانة الإنسان (ص: ٢٤٧-٢٥٢)

المطلب الثاني

الحث على الإتباع والتحذير من الإبتداء

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الحث على الإتباع الكتاب والسنة ، ونهى عن الإبتداء ، وبين خطورته على الأمة في الدارين . لتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله تعالى في الأصول والفروع ، ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق . فالطريق الصحيح إلى النجاة هو

التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الله صلى عليه وسلم.

قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ وَآيَتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: ١٠٣] .

فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله ، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن ، كما قال المفسرون ، إذ العهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الإنباء القرآن والسنة . فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن الإبتداء والتفرق والاختلاف ، قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [الحشر: ٦]

عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه قال يَومًا: ((إنَّ من ورائِكُم فِتَنًا يَكثُرُ فيها المالُ، ويُفتَحُ فيه القُرآنُ، حَتَّى يَأخُذَهُ المُؤمِنُ والمُنافِقُ، والرَّجُلُ والمَرأةُ، والصَّغيرُ والكَبيرُ، والعَبدُ والحُرُّ، فيوشِكُ قائِلٌ أن يَقولَ: ما للنَّاسِ لا يَتَّبِعوني وقد قَرَأتُ القُرآنَ؟! ما هم بمُتَّبِعيَّ حَتَّى أبتَدِعَ لَهم غَيرَه، وإيَّاكُم وما ابتُدِعَ؛ فإنَّ ما ابتُدِعَ ضَلالةٌ، وأُحَذِّرُكُم زيغةَ الحَكيمِ؛ فإنَّ الشَّيطانَ قد يَقولُ كلِمةَ الضَّلالةِ على لسانِ الحَكيمِ، وقد يَقولُ المُنافِقُ كلِمةَ الحَقِّ. قال الرَّاوي: قُلتُ لمُعاذٍ: وما يُدْريني يَرحَمُكَ اللَّهُ أنَّ الحَكيمَ قد يَقولُ كلِمةَ ضَلالةٍ، وأنَّ المُنافِقَ قد يَقولُ كلِمةَ الحَقِّ؟! قال: بلَى! اجتَنِبْ من كلامِ الحَكيمِ المُشتَهِراتِ الَّتي يُقالُ فيها: ما هذه؟ ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه؛ فإنَّه لَعَلَّهُ أن يُراجِعَ، وتَلَقَّ الحَقَّ إذا سَمِعْتَهُ؛ فإنَّ على الحَقِّ نُورًا))[١]

يقول الحسن البصري رحمه الله: ((اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم، وإياكم ما أحدث الناس في دينهم؛ فإن شر الأمور المحدثات))[٢].

(١)حديث رقم: ٤٦١١, كتاب السنة, باب لزوم السنة, سنن أبي داود

(٢)الزهد للإمام أحمد (١٥٥٧)

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ((والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الاتباع وترك الهوى)) [١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله الله ولزوم سبيله ، وأمر بالجماعة والائتلاف ، ونهى عن الفرقة والاختلاف ،

فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء: ٨٠]))[٢].

ولذلك قال الشيخ بشير رحمه الله: ((فإنا معاشر أهل السنة والجماعة لا نقول بعصمة أحد غير الأنبياء عليهم السلام كائنا من كان ، ولكنا نعلم قطعا أن معظم الصحابة وعامنهم وأكثرهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأخذون بسنته صلى الله عليه وسلم ويقتدون بأمره ، وينكرون شديد الانكار على من أحدث في الدين ، أو فعل فعلا لم يفعله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .))[٣]

يقول الشيخ رحمه الله: ((بعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع ، وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة ، ولكن في قرن التابعين وأتباع التابعين لم تظهر البدع ظهورا فاشيا ، وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الأحوال تغيرا فاحشا ، وغلبت البدع ، وصارت السنة غريبة ، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة ، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة الا ما استثنى من زمان المهدي رضى الله عنه وعيسى عليه السلام ، الى أن تقوم الساعة على شرار الناس .))[٤]

(١)شرح أصول السنة لابن جبرين (ص:٤٦)
(٢)الوصية الكبرى (ص:٤٣)
(٣)صيانة الإنسان (ص:٣١٩)
(٤)صيانة الإنسان (ص:٣٢٩)

المطلب الثالث
اعتماده على أقوال الصحابة وأئمة السلف

المراد بأئمة السلف: القرن الأول من هذه الأمة، وهم صحابة رسول الله صلى الله وعليه وسلم من المهاجرين والأنصار ثم من جاء بعدهم وتتلمذ عليهم من التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم من القرون المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم ((خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[١] وعصرهم يسمى عصر القرون المفضلة، فهؤلاء هم سلف هذه الأمة الذين أثنى عليهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فهم القدوة لهذه الأمة، ومنهجهم هو الطريق الذين يسيرون عليه في عقيدتهم، وفي معاملاتهم، وفي أخلاقهم، وفي جميع شؤونهم، وهو المنهج مأخوذ من الكتاب والسنة لقربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ((وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا)) (النساء - ١١٥)

ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا, وأعمقها علما, وأقلها تكلفا, وأقومها هديا, وأحسنها حالا, قوم اختارهم الله تعالى لصحبته نبيه صلى الله عليه وسلم, فاعرفوا لهم فضلهم, واتبعوهم في آثارهم, فإنهم كانو على الهدي المستقيم))[٢].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ((أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين))[٣].

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: ((يحتاج المسلمون إلى معرفة ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة؛ بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ؛ فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه؛ فإن المعاني العامة التي يحتاج

(١)حديث رقم: ٢٦٥١, صحيح البخاري, كتاب الشهادات, باب لا يشهد على شهادة جورا إذا أشهد

(٢)جامع بيان العلم وفضله, لابن عبد البر(١٨١٠)

(٣)شرح أصول السنة لابن جبرين (ص:٢٣)

إليها عموم المسلمين مثل معنى التوحيد، ومعنى الواحد والأحد، والإيمان والإسلام، ونحو ذلك، كان جميع الصحابة يعرفونما أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من معرفتهواعلم أن ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية.))[١]

فقد أشاد الشيخ محمد بشير بأهمية الأخذ بفهم السلف للنصوص ؛ ففي مسألة

الزيارة، قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤]: ((إنَّ أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة - لم يفهم منهم أحد إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، ولم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لِي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبُهْتِ، أفترى عطل الصحابة والتابعون وهم خير القرون على الإطلاق – هذا الواجب القربة التي ذم الله سبحانه مَنْ تَخَلَّفَ عنها، وَجَعَلَ التَخَلُّفَ عنه مِنْ أمارات النفاق، ووَفَّقَ له مَنْ لا يُؤْبَهُ له من الناس، ولا يُعَدُّ في أهل العلم ... وهذا يُبَيِّن أنَّ هذا التأويل الذي تَأَوَّلَ عليه المعترِضُ هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه عِلْماً وعَمَلاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يَكُنْ عَلى عَهْدِ السَّلَفِ ولا عرفوه ولا بينوه للأمة)) [٢]

ومن مؤلفات الشيخ السهسواني وتعليمه يتبين لنا أنه لم يدافع عن العقيدة أهل السنة فقط بل دافع عن أئمة أهل السنة أيضا ومثال ذلك: دفع الافتراءات عن شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب. فإنه لما ذكر أحمد دحلان في كتابه: ((تخيل بعض المحرومين))[٣] معرضا بابن تيمية ومن تبعه, أجابة قائلا: ((لعل المراد ببعض المحرومين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأتباعه, ولكن لم أجد بعد ذلك التخيل في كلام الشيخ المذكور, ولا في كلام أحد من أتباعه, بل قد وجد في غير ما موضع من كلامه ما يدل صراحة على مشروعية زيلرة قبر النبي صلى الله عليه وسلم, وقد تقدم نقل بعض عباراته في هذا الباب فتذكر, فلعل هذا افتراء على شيخ رحمه الله))[٤].

وواضح من كتابات الشيخ السهسواني رحمه الله أنه يعتنق هذا المنهج وهذا ظاهر في جميع مؤلفاته, فيجد أنه حرص على إظهار الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من خلال عرضه لكثير من مسائل الاعتقاد وغيرها, وحسن الاستدلال لها.

---

(١)مجموع الفتاوى (٣٥٣/١٧)
(٢)صيانة الإنسان, (ص: ٤٦)
(٣)الدرر السنية في رد على الوهابية (ص: ١٦)
(٤)صيانة الإنسان, (ص: ٤٩٤)

الفصل الثاني

جهود السهسواني في ردوده على المخالفين

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشرك وانواعه

المبحث الثاني: زيارة القبور الشرعية والبدعية

المبحث الثالث: التعظيم الشرعي للرسول صلى الله عليه وسلم والتعظيم البدعي المنهي عنه

المبحث الرابع: الشرك في بعض العبادات, وفيه أربعة مطالب:

المبحث الأول

الشرك وانواعه

ما من ريب أن قي معرفة المسلم للشرك وأسبابه وأنواعه فوائد عظيمة, والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب و تسلك, ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغض, والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبل الخير ليطبقها, فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها.

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبنية للشرك والكفر والمحذرة من الوقوع فيها, والدالة على سوء عاقبتها في الدنيا والآخرة, بل إن ذلك مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة, كما قال تعلى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٥] .

ولقد نبهنا الله إلى أن كثيرا من الناس يظن نفسه مؤمنا موحدا وهو في حقيقة الأمر مشرك يجهل حقيقة شركه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف١٠٦] :, فضلا على أن أكثر الناس هم بعيدون عن الإيمان حقيقة, كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف :١٠٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾] سورة النساء: ٤٨] قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] والآيات في هذا الجانب كثيرة جدا.

وأما في السنة, فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الشرك تحذيرا شديدا وكثيرا, ومن أمثال ذلك: عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله, ما الموجبتان؟ فقال: ((من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة, ومن مات وهو يشرك بالله شيئا دخل النار))[١]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ((أتاني آت من ربي فأخبرني أو بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. فقلت وإن زنى وإن سرق فقال: وإن زنى وإن سرق))[٢].

---

(١) رواه مسلم, كتاب الإيمان, برقم ٢٦٩.

(٢) رواه البخاري, كتاب الجنائز, برقم ١٢٣٧.

الشرك لغة:

يطلق على المخالطة والمصاحبة قال صاحب اللسان (الشِّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشريك المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء، وطريق مشترك يستوي فيه الناس)[١]

الشرك اصطلاحا:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((الشرك هو اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلها))[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((أصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعضِ ما يستحقّه وَحده))[٣] . وقال أيضا: ((فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه، فهو مشرك)).[٤]

قال العلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي: ((الشرك ظلم، ووضع للشيء في غير محله, إن الله لا يقبل إلا خالصا، ليس لأحد فيه نصيب))[٥].

قال السيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((والشرك بالله يتناول الشرك بربوبيته أو

ألوهيته أو أسمائه أو صفاته. فمن اعتقد أن مع الله خالقا أو معينا; فهو مشرك، أو أن أحدا سوى الله يستحق أن يعبد; فهو مشرك وإن لم يعبده، فإن عبده; فهو أعظم، أو أن لله مثيلا في أسمائه; فهو مشرك، أو أن الله استوى على العرش كاستواء الملك على عرش مملكته; فهو مشرك، أو أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزول الإنسان إلى أسفل بيته من أعلى; فهو مشرك.))[٦]

(١)لسان العرب (٩٩/٧), لابن منظور, دار إحياء التراث العربي, ط٣ , ١٤١٩هـ

(٢)الجامع لأحكام القرآن, تفسير القرطبي (٢٩٩/٦)

(٣)الإستقامة (٣٤٤/١), لابن تيمية, دار هجر, ط١, ١٤١١هـ.

(٤)مجموع الفتاوى(١٣/١٩)

(٥)تقوية الإيمان (ص: ٢٦)

(٦)القول المفيد (٤٩٧/١)

أقسام الشرك

الشرك الأكبر:

وهو أن تجعل لله نِدًا (شريكًا) تدعوه كما تدعو الله، أو تصرف له نوعًا من أنواع العبادة، كالاستغاثة أو الذبح أو النذر أو غيرها, وهو محبط للأعمال يستوجب صاحبه الخلود في النار.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ((الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله ندا ، يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيي ولا تميت ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم - بل أكثرهم - يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم - من المشايخ - أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين.))[١]

الشرك الأصغر:

وهو ما كان دون الشرك الأكبر إلا أنه وسيلة إلى بلوغه أن لم يتدارك العبد نفسه, وهو يعد من أكبر الكبائر على الإطلاق وصاحبه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه أو غفر له كالحلف بغير الله, وقول ماشاء الله وشئت أو لبس الحلقة لدفع العين وما شابه ذلك. ويدخل فيه الرياء أيضا والرياء ضد الإخلاص، فالإخلاص: أن تقصد بعملك وجه الله، أما الرياء أن تعمل العمل ليراه الناس، ومنه السمعة: أن تعمل العمل ليسمعه الناس، فعملُ العبادة ابتداءً أو تحسينها؛ ليراه الناس فيمدحونه ويثنون عليه.

بين الإمام ابن القيم رحمه الله: ((أما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قالمن حلف بغير الله فقد أشرك وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وإنا بالله وبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر ، بحسب قائله ومقصده ، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له ما شاء الله وما شئت: أجعلتني لله ندا ؟ قل: ما شاء الله وحده وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ .))[٢]

(١)مدارج السالكين (ص: ٣٤٨)

(٢)مدارج السالكين (ص:٣٥٢)

ينقسم شيخ الإسلام ابن تيمية الشرك الى قسمين: الشرك في الإلهية والشرك في الربوبية.

الشرك في الإلهية:

بين الإمام ابن تيمية رحمه الله: ((الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله ندا - أي: مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وكذا من خاف أحدا كما يخاف الله أو رجاه كما يرجو الله وما أشبه ذلك))[١].

الشرك في الربوبية:

وقال أيضا: ((فالشرك في الربوبية فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته))[٢].

قال العلامة محمد بشير السهسواني رحمه الله: ((اعلم ان الله يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم, والرازق لهم ونحو ذلك, فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]. بل بعث الله رسله, وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]. وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله, والنداء, والاستغاثة, واستجلاب الخير, واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].))[٣]

والشيخ السهسواني رحمه الله قد عاش في مجتمع كان ممتلئا بالشركيات وما يتعلق بها من علائق مثل الأضرحة ودعاء الأموات والطواف بالقبور والنذر لها والقصد إليها والموالد وغيرها من الشركيات العظيمة, لذا كانت كتاباته ممتلئة بالتحذير من الشرك ووسائله وأسبابه, والدعوة إلى التوحيد الخالصة من الشبهات والشهوات.

(١)مجموع فتاوى (٨٨/١)
(٢)مجموع فتاوى (٨٨/١)
(٣)صيانة الإنسان (ص: ٨٠٩)

المبحث الثاني
زيارة القبور الشرعية والبدعية

منع النبيُّ صلى الله عليه وسلم من زيارة القبور في أوائل الإسلام, سدًّا لذريعة الشرك، ثم لما تمكَّن التوحيد في القلوب، أَذِن صلى الله عليه وسلم في زيارتها، وقد وردت أحاديث في الإذن وأحاديث في التعليم, فأما التي في الإذن فمنها: حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كنتُ نهيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزورُوها ، فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ ، وتُدْمِعُ العينَ ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ ، ولا تقولوا هُجْرًا)).[١]

وأما التي في التعليم فمنها: حديث أبو هريرة: ((أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ خرجَ إلى المقبرةِ فقالَ السَّلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنينَ وإنَّا إن شاءَ اللَّهُ بِكم لاحقونَ))[٢]

بناء على ذلك الزيارة القبور نوعان: زيارة شرعية وزيارة غير شرعية أو بدعية

زيارة القبور الشرعية:

هي التي يقصد منها:

١. تذكر الآخرة
٢. الإحسان إلى الميت, والدعاء له
٣. إحسان الزائر إلى نفسه بالتباع السنة في زيارة القبور, والوقوف عند ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم[٣]

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: ((زيارة شرعية هي زيارة القبور لتذكر الآخرة والدعاء لأموات المسلمين ولنفسه, كما علمنا الرسول صلى اللع عليه وسلم أن نقول, دون شد للرحال أو فعل أو قول من أفعال وأقوال الشرك.))[٤]

(١)أخرجه أحمد برقم(١٣٤٨٧)
(٢)أبو داود برقم (٣٢٣٧)
(٣)القول المفيد لابن عثيمين (٣٩٣/١)
(٤)شرح سلم الوصول (ص: ١٨١)

زيارة القبور البدعية:

وهذه الزيارة منها ما هو بدعة وهي: زيارة الناس لدعاء الله عند القبور, وقراءة القرآن ونحو ذلك, ومنها ما هو شرك وهي: زيارتهم لدعاء الأموات والاستنجاد بهم والاتغاثة ونحو ذلك.

فالفارق إذا بين الزيارة الشرعية والبدعية, أن الزيارة الشرعية يقصد بها نفع الاموات. وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد منها الانتفاع بالأموات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإن زيارة قبور الأنبياء وسائر المؤمنين على وجهين كما تقدم ذكره: زيارة شرعية، وزيارة بدعية. فالزيارة الشرعية يقصد بها السلام عليهم، والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات فيصلى عليه صلاة الجنازة، فهذه الزيارة الشرعية. والثاني: أن يزورها كزيارة المشركين وأهل البدع لدعاء الموتى وطلب الحاجات منهم، أو لاعتقاده أن الدعاء عند قبر أحدهم أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، أو أن الإقسام بهم على الله وسؤاله سبحانه بهم أمر مشروع يقتضي إجابة الدعاء، فمثل هذه الزيارة بدعة منهي عنها.))[١]

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في الأبيات الآتية من منظومة (سلم الوصول) عن الزيارة القبور:

((فإنْ نَوَى الزَّائِرُ فيمَا أضمَرَهُ ... في نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بالآخِرَهْ
ثُمَّ الدُّعَا لَهُ ولِلأَمْوَاتِ ... بِالعَفْوِ والصفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ
وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالِ نَحْوَها ... وَلَمْ يقُلْ هَجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أتَتْ صَرِيحَهْ ... في السُّنَنِ المُثْبَتَة الصَّحِيحَهْ
وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ ... أَشْرَكَ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدْ
لَن يَقْبَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ ... صَرْفاً ولاَ عَدْلاً فَيَعْفُوْ عَنْهُ
ثُمَّ الدُّعَا لَهُ وَلِلأَمْوَاتِ ... بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ ... إلاَّ اتِّخَاذَ النِّدِّ للرَّحْمَنِ))[٢]

(١)قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة, (ص: ١١٩)

(٢)شرح سلم الوصول (ص: ٢١)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((الزيارة القبور أنواع: منها ما هو
سنة: وهي زيارة الرجال للاتعاظ والدعاء للموتى.
بدعة: وهي زيارتهم للدعاء عندهم وقراءة القرآن ونحو ذلك
شرك: وهي زيارتهم لدعاء الأموات والاستنجاد بهم والاستغاثة ونحو ذلك))[١].

قال العلامة السهسواني رحمه الله: ((بعض أقسام الزيارة شرك, وهو الذي يتضمن دعاء غير الله, والنحر له, والنذر له, والطواف بقبره, ونحو ذلك من أقسام العبادة فلا شك أن منع ذلك التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد.))[٢]

وقال أيضا: ((إن الزيارة شرعها الله ورسوله مقصودها نفع الميت والإحسان إليه, وأن يفعل عند قبره من جنس ما يفعل على نعشه من الدعاء والاستغفار والترحم عليه, فإن عمله قد انقتع وصار محتاجا إلى ما يصل اليه من نفع الأحياء له, ولهذا يقال عند زيارته ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن يقولوا إذا زاروا القبور, ولو كان أهلها سادات أولياء الله وخيار عباده: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية)[٣]))[٤]

(١)القول المفيد (٤٢٧/١)
(٢)صيانة الانسان, (ص: ٩٧٧)
(٣)أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، برقم (١٠٥٣)
(٤)صيانة الانسان, (ص: ١٣٢٨)

المبحث الثالث

التعظيم الشرعي للرسول صلى الله عليه وسلم والتعظيم البدعي المنهي عنه

التعظيم الشرعي:

من دلائل اتباع السنة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله، وتعظيم سنته؛ بل ذلك من شعب الإيمان العظيمة، ومن حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده، ومن كل عبد لسيده، وقد أمر الله تعالى بذلك في القرآن العظيم بقوله: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[١]

إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله وتوقيره: من شعب الإيمان العظيمة التي تفوق منزلة المحبَّة؛ فليس كل محب معظما، فالوالد يحب وَلده، فيدعوه ذلك إلى تكريمه لا تعظيمه، والولد يحب والده، فيجمع له بين التّكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه، ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يعظمون ساداتهم، وقد يحبونهم أو يبغضونهم.

بين الإمام ابن رجب رحمه الله عن نعظيم ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ومحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على درجتين: إحداهما فرض:

وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة. فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان

بدونه.

والدرجة الثانية فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتوقيره ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين. ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة.))[٢].

(١)صحيح البخاري, كتاب الإيمان, باب حب الرسول من الإيمان حديث رقم:١٥

(٢)استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (ص:٨٧)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعا لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه فإن أمته يحبونه لحب الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له فهي محبة لله من موجبات محبة الله وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله لهم. والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم ألقى الله سبحانه وتعالى عليه منه المهابة والمحبة ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك))[١].

يقول الشيخ السهسواني عن التعظيم الشرعي لرسول صلى الله عليه وسلم: ((وأما تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت فهو عين الإيمان لا يمنعه أحد من المسلمين, وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الفتح: ٨,٩], على قول من قال برجوع الضمير إلى الرسول.))[٢]

ذكر الشيخ الآيات من القرآن والأحاديث التي تبين أهمية تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((فعلم من تلك الأحاديث بعض من طرق تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم, وأن رأس الأمر والعمدة في ذلك محبة النبي فوق محبة الوالد والولد والناس أجمعين, وهي لا تتم إلا بالاتباع والطاعة, قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٣١], فمن كان أكثر اتباعا وطاعة كان أكثر محبة, ومن كان أكثر محبة كان أشد

تعظيما.))[٣]

ويقول أيضا: ((نحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثانتة, سواء كان ذلك التعظيم فعليا أو قوليا أو اعتقاديا, والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثرة. ونجتنب التعظيمات التي تشتمل على موجبات الكفر والشرك, وما نهى الله عنه ورسوله, والتعظيمات المحدثة المبتدعة.))[٤]

---

(١)جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام(ص:١٨٧)
(٢)صيانة الإنسان, (ص: ٩٨٣)
(٣)صيانة الإنسان, (ص: ١٠٠٤)
(٤)صيانة الإنسان, (ص: ١٠٠٥)

التعظيم البدعي:

عندما ضعف نور النبوة في حياة الأمة وقلَّ تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها، ضعف هذا التعظيم. وقد ظهرت الكثير من البدع باسم تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، مثل الاحتفال بمولده، والدعاء له، وغير ذلك, وهذا نسمي التعظيم البدعي المنهي عنه.

وقد رد الشيخ السهسواني على هذه البدعة وأعاد الناس إلى السنة وأوضح الفرق بين التعظيم الشرعي والبدعي. قال السهسواني رحمه الله: ((هذه التعظيمات (الشرعي) ثابتة بعضها بالكتاب وبعضها بالسنة, بخلاف التعظيم الذي يتضمن الشرك أو الأمر المنهي عنه, أو يكون محدثا))[٢]

قال أيضا: ((علم أن بعض أفراد التعظيم قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه, فمنه السجدة, وفي هذا الحكم جميع التعظيمات التي هي من جنس العبادة, كالدعاء والندر والنحر والطواف والركوع وغير ذلك.))[٣]

قال ايضا: ((وأما أهل البدع فمعظم تعظيمهم تعظيم محدث, كشد الرحال إلى قبر رسول صلى الله عليه وسلم والفرح بليلة ولادته, وقراءة المولد, والقيام عند ذكر ولادته, وتقبيل الإبهام عند قول المؤذن: (أشهد أن محمد رسول الله), والتمثل بين يدي قبره قياما, وطلب الحاجات منه صلى الله عليه وسلم, والنذر له وما ضاهاها

))[٤]

صيانة الإنسان, (ص: ٩٨٢)

(١)صيانة الإنسان, (ص: ١٠٠٤)

(٢)صيانة الإنسان, (ص: ١٠٠٥)

المبحث الرابع

الشرك في بعض العبادات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدعاء والإستغاثة

المطلب الثاني: الشفاعة

المطلب الثالث: الوسيلة والتوسل

المطلب الرابع: النذر

المطلب الأول

الدعاء والاستغاثة

الفرع الأول: الدعاء

إن الدعاء من أعظم العبادات التي أمرنا الله تعالى بها في كتابه في آي عديدة, وبين النبي صلى الله عليه وسلم أهميته العظمى في حياة المسلم, فجعل مناط العبادة على الدعاء, كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: ((الدعاء هو العبادة))[١].

قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠]. وقال أيضا: {وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨] .

تعريف الدعاء في اللغة:

وهو أن تميل الشيء إليك بصوت، وكلام يكون منك؛ تقول: دعوت أدعو دعاء.[٢] وللدعاء معان عدة مثال: الطلب, السؤال, العبادة, النداء, الرغبة إلى الله.

تعريف الدعاء في الشرع:

الرغبة إلى الله تعالى، والتوجه إليه في تحقيق المطلوب أو دفع المكروه، والابتهال إلى الله في ذلك إما بالسؤال، أو بالخضوع، والتذلل والرجاء والخوف والطمع.(٣)

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بينهما والمناسبة واضحة جدًّا؛ فإن الدعاء في اللغة كما تقدم آنفًا يطلق على الطلب والسؤال والعبادة والرغبة، وهذه المعاني موجودة في المعنى الشرعي؛ إذ الداعي سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة طالب للأجر والثواب أو طالب لحاجته من نيل مرغوب أو دفع مرهوب، فأغلب المعاني اللغوية التي للدعاء لها مناسبة جلية للمعنى الشرعي.(٤)

(١)سنن أبي داود, كتاب الصلاة, باب الدعاء, حديث رقم: ١٤٧٩

(٢)مقاييس اللغة (٢٧٩/٢) , لابن فارس

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (٤٨/١), لجيلان العروسي

(٤)الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية(٤٩/١), لجيلان العروسي

أقسام الدعاء:

كل دعاء ورد في كتاب الله تعالى، وسنة صلى الله عليه وسلم, فإنه يتناول نوعين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة (١)، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما. (٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((لفظ "الدعاء والدعوة" في القرآن يتناول معنيين. دعاء العبادة. ودعاء المسألة)), ثم ذكر الآيات الواردة في النوعين: قال اللَّه تعالى: {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ}[الشعراء: ٢١٣], وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[القصص: ٨٨], وقال سبحانه: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا}[النساء: ١١٧], إلى غير ذلك من الآيات. ثم نبه على أن ((كل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد.))(٣)

قال ابن القيم رحمه الله: ((فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويرادبه مجموعهما وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقا والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ}[يونس: ١٨], وقوله تعالى: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ} [يونس: ١٠٦], فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر القاصر والمتعدي فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم. وهذا في القرآن كثير بيد أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.))[٤]

فدعاء العبادة هو أن يتعبد لله طلبا لثوابه وخوفا من عقابه, كالصلاة والأذكار الواردة في الكتاب والسنة وسائر العبادات وأما دعاء المسألة فهو طلب ما ينفع الداعي.

(١)مجموع فتاوى ابن تيمية (٦٩/١)
(٢)بدائع الفوائد لابن القييم الجوزية (٨٣٥/٣)
(٣)مجموع فتاوى ابن تيمية(٢٣٧/١٠-٢٤٠)
(٤)بدائع الفوائد لابن القييم الجوزية (٨٣٥/٣)

حكم دعاء غير الله تعالى:

دعاء غير الله شرك والشرك ذنب عظيم بل هو أعظم الذنوب وكل ذنب يغفره الله لمن يشاء إلا الشرك. لقد دل القرآن والسنة وإجماع الأمة على شرك من دعا غير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ١٤], وقال أيضل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو

رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٠], إلى غير ذلك من الآية.

خالف بعض الطوائف في أن الدعاء لا يكون عبادة، إلا إذا اعتقد في المدعو شيئًا من الربوبية أو التأثير, والمقصود: أن دعاء غير الله تعالى، والاستغاثة به، ونحوه لا يعتبر شركًا أكبر عندهم إلا إذا كان يعتقد فيهم التأثير، أو أنهم يخلقون، أو يرزقون، ونحو ذلك من أفراد الربوبية وعلى رأسهم كان دحلان[١] الذي زعم أن معنى الدعاء في هذه الآيات التي نزلت في المشركين هو العبادة.[٢]

فرد أهل العلم على هذه الشبهة وأبطلو ما جاء به دحلان من التحريف, فقال الشيخ السهسواني: ((هذا لا يصلح صارفا, فإن المراد بالدعاء عندنا ليس مطلق النداء, بل النداء الذي فيه طلب ما لا يقدر عليه إلا الله))[٣]

ورد أيضا: ((إن العبادة أعم من الدعاء, فمن استكبر عن الدعاء استكبر عن العبادة . وجملة القول في الباب: أن الدعاء معناه الحقيقي طلب جلب النفع ودفع الضر, وأما كونه بمعنى العبادة فممنوع, ولو سلم فهو معنى مجازي, ولا يصار إلى المجاز مع إمكان الحقيقة))[٤]

ثم بين الشيخ السهسواني رحمه الله: ((إنما نكفر بالنداء الحقيقي الذي يطلب فيه من الأموات والجمادات ما لا يقدر عليه إلا الله, وهذا شيء لم يثبت بعد بالبراهين, بل قام الدليل على كونه كفرا.))[٥]

---

(١) هو أحمد زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ), صاحب الكتاب "الدرر السنية في الرد على الوهابية", كان قبوريا

(٢) الدرر السنية (ص: ٢١)

(٣) صيانة الإنسان (ص: ١٤٨٣)

(٤) صيانة الإنسان (ص: ١٤٨٨)

(٥) صيانة الإنسان (ص: ١٤١٥)

الفرع الثاني:

الاستغاثة

تعريف الاستغاثة في اللغة:

الاستغاثة نوع من أنواع العبادة المندرجة تحت الدعاء, فإنها دعاء بإزالة الشدة. قال الراغب الأصفهاني: ((الغوث يقال في النّصرة، والغيث في المطر، واسْتَغَثْتُهُ: طلبت الغوث أو الغيث، فأغاثني من الغوث، وغاثني من الغيث، وغَوَّثت من الغوث، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٩] ،وقال: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص:١٥]))[١]

تعريف الاستغاثة في الشرع:

ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أن لفظ الاستغاثة مستعمل في الكتاب والسنة وكلام العرب بمعنى الطلب من المستغات به.[٢] ثم بين أيضا: ((الاستغاثة طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدة.))[٣]

قال الشيخ حافظ آل حكمي: ((الاستغاثة هي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩].))[٤]

أنواع الاستغاثة عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

((وتنقسم الاستغاثة إلى: استغاثة مشروعة، واستغاثة ممنوعة،

والاستغاثة المشروعة أنواع:

أولها: الاستغاثة بالله -تعالى-، وهي الاستغاثة المأمور ما في الشرع، فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله -تعالى-، وكل غوث فهو من عنده.

(١)المفردات في غريب القرآن, (٤٧٦/٢)مكتبة نزار مصطفى الباز

(٢)تلخيص كتاب الاستغاثة(١٨٥/١), مكتب الغرباء

(٣)تلخيص كتاب الاستغاثة(١٩٦/١), مكتب القرباء

(٤)معارج القبول (ص:١٥٨), مكتب دار الصفوة

الثاني: الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يقدر عليه ويليق

بمنصبه، وهذا لا ينازع فيه مسلم، وهذا النوع جائز أيضا في حق غير النبي - صلى الله عليه وسلم - من عامة المؤمنين وخاصتهم، بل والفجار والكفار أيضا،

ومن هذا النوع ما وردت به النصوص من الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة.
وقد غلط بعض الغلاة فسوى بين حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وموته، وأثبتوا له بعد موته حياة حقيقية كحياته - صلى الله عليه وسلم - في الحياة الدنيا، وأن الشهداء أحياء في قبورهم وحياة الأنبياء أكمل، وبناء على هذا أجازوا الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حيا وميتا.

وأما الاستغاثة الممنوعة فهي أقسام أيضا:

الأول: الاستغاثة بالنبي أو الرجل الصالح الحيين الشاهدين الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-؛ مثل غفران الذنوب وهداية القلوب، وشفاء المرض، والرزق والنصر على الأعداء، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-، وهذه الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، وهذا شرك العرب في الجاهلية.

الثاني: الاستغاثة بالميت سواء كان نبيا أو غير نبي، وحجتهم في ذلك تسويتهم بين حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومماته، كما سبق بيانه، واعتقاد بعضهم في شيوخهم أن لهم تصرفا في الكون بعد الممات، واعتمدوا على حكايات مكذوبة لسدنة القبور ليأكلوا ما أموال الناس بالباطل.

الثالث: الاستغاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - والرجل الصالح في حال غيبته، وهذا أيضا لا يجوز، فإنه لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب، وعمدة القائلين بجوازها حكايات لا تصح، فضلا عن أن تكون دليلا في الدين، منها: أن أحدهم استغاث بالله فلم يغثه، فاستغاث بالنبي - صلى الله عليه وسلم - والشيخ الفلاني فأغاثه، وفرج كربته.

وقد تتمثل الشياطين بالمستغاث به إمعانا في إضلال المستغيثين بهم، وتحضر لهم بعض مطالبهم، وحصول مطالبهم يجعل هذه الأسباب مباحة، فإنه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه ولو كان نافعا. فهذه أقسام الاستغاثة، عرف المسلمون الاستغاثة المشروعة، ولم يعرف القبورية إلا الاستغاثة الممنوعة، وجعلوها أصل دينهم.))[1]

(١)الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٤٢,٤٣)

فالخلاصة أن الاستغاثة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاستغاثة بالله تعالى

هذا القسم هو أعظم أقسام الاستغاثة، وهو الذي أمر الله به، ومدح المؤمنين على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]

النوع الثاني: الاستغاثة بالمخلوق الحاضر الحي فيما يقدر عليه

هذا جائز. قال تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥]. لكن على المسلم أن يعلم أن طلب الغوث ممن هو حاضر قادر عليه, يجب أن يعتقد هذا المستغيث أن المستغاث به مجرد سبب لا يستقل بذاته في إزالة الشدة, فإن الله خالقه وخالق السبب.

النوع الثالث: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله

هذا شرك، فمن استغاث بغير الله من جن أو إنس أو غائبين أو أموات فإن هذا شرك بالله عز وجل. فالاستغاثة بالأموات وبالغائبين من الشياطين والجن هذا شرك بالله عز وجل.[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]

قال ابن تيمية رحمه الله: ((لا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين، ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلانا أغثني، وانصرني، وادفع عني، أو أنا في حسبك، ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك

الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.))[٢]

(١) شرح أصول الثلاثة للفوزان (ص: ١٥٢)
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص: ٢٣٣)

رد الشيخ السهسواني عن شبهة المستغيثين بالموتى:

عندما قام دحلان عن الاستدلال بحديث الشفاعة من الأنبياء يوم القيامة على جواز الاستغاثة بالموتى[١] رد السهسواني رحمه الله على الاستدلال المزعوم, وبيانه لأنواع الاستغاثة. فقال: ((هذا ليس مما نحن فيه, فإن الاستغاثة بالمخلوق على نوعين:

أحدهما: أن يستغاث بامخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه, مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض, وهذا لا خلاف في جوازه, والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل.

والثاني: أن يستغيث بمخلوق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. وهذا الذي يقول فيه أهل التحقيق إنه غير جائز.))[٢]

ثم رد الشيخ على كل من يزعم أن المستغيثون بالأموات يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله, ويدعو لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك, فقال: ((في هذا التقرير خلل من وجوه:

الأول : أن فيه ذهولا عن قيد الحي, والمراد بالحياة: الدنيوية لا البرزخية.

الثاني : أن ظاهر ألفاظهم مثل: يا رسول الله اشف مريضي, وهب لي ولدا ونحو ذلك, دال على أنهم لا

يطلبون الشفاعة, بل يطلبون شفاء المريض, وإعطاء الولد وهم غير قادرين على تلك الأمور.

الثالث: أن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن مختلفة ومواضع

بعيدة, معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون استغاثتهم, ويسمعوت دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان, الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركا)).[٣]

وبهذا دافع الشيخ رحمه الله عن التوحيد وحارب الشرك بأقواله فبقي بذلك منارة للهداية إلى يومنا هذا.

(١)الدرر السنية في رد على الوهابية
(٢)صيانة الإنسان (ص: ٩٦٨)
(٣)صيانة الإنسان (ص: ٩٦٩)

المطلب الثاني
الشفاعة

تعريف الشفاعة في اللغة:

الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين. من ذلك الشفع خلاف الوتر.[١] شفعت الشيء شفعا من باب نفع ضممته إلى الفرد وشفعت الركعة جعلتها ثنتين.[٢]

تعريف الشفاعة في الشرع:

طلب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الله حصول منفعة لأحد من الخلق في الدار الآخرةِ. ويدخل تحت هذا التعريفِ جميع أنواع الشفاعات.

قال ابن جبرين رحمه الله: ((أصل الشفاعة التوسط للإنسان لتقضى حاجته، والمراد هنا طلب النبي صلى الله عليه وسلم ورغبته إلى ربه بعد إذنه أن يفصل بين عباده، وأن يخرج الموحدين من العذاب، وكذا من يشفع غيره.))[٣]

قال ابن عثيمين رحمه الله: (التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي صلَى الله عليه وسلم وعامة له ولِغَيرِه)[٤]

أنواع الشفاعة:

النوع الأول: الشفاعة الثابتة أو الصحيحة

وهي الشفاعة التي أثبتها الله في كتابه أو رسوله صلي الله عليه وسلم, ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. وهي أنواع كثيرة كما ذكر أهل العلم, ومنها:

---

(١)مقياس اللغة (٢٠١/٣), ابن فارس,
(٢)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣١٧/١), أحمد الفيومي
(٣)التعليقات على متن لمعة الاعتقاد, (ص: ١٥٤).
(٤)شرح لمعة الاعتقاد, (ص: ١٢٨).

أولها: الشفاعة العظمى, الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلاوات الله أجمعين. وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء:٧٩]. وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة.

يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله: ((باب ذكر الشفاعة التي خص الله بها النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء صلى الله عليهم وهي الشفاعة الأولى التي يشفع بها لأمته، ليخلصهم الله من الموقف الذي قد جمعوا فيه، يوم القيامة))[١].

ثانيها: الشفاعة في دخول المؤمنين الجنة, عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك.))[٢]

ثالثها: الشفاعة لأقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب واستدل له بحديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه: ((ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ

مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ.))[٣]

رابعها: شفاعته صلى عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته, ممن دخل النار, فيخرجون منها, وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث. منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).[٤]

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (ص:٥٨٩)
(٢) حديث رقم: ١٩٧, كتب الإيمان, صحيح مسلم
(٣) حديث رقم: ٤٧١٢, كتاب التفسيرو سورة بني إسرائيل, صحيح البخاري
(٤) حديث رقم: ٤٧٣٩, باب فب الشفاعة, سنن أبي داود

خامسها: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه. فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: ((لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)).[١]

صادسها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها. والأدلة على هذا القسم كثيرة جدا منها

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: ((فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط.))[٢]

سابعها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن

يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، ومثال ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا لأبي سلمة فقال: ((اللّهمّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديّين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا ربّ العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه.))[٣]

وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون.[٤]

قال العلامة ابن رجب رحمه الله: ((الشفاعة التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء، فليست هي الشفاعة في خروج العصاة من النار ; فإن هذه الشفاعة يشارك فيها الأنبياء والمؤمنون - أيضا - كما تواترت بذلك النصوص، وإنما الشفاعة التي يختص بها من دون الأنبياء أربعة أنواع:

أحدها: شفاعته للخلق في فصل القضاء بينهم.

والثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة.

والثالث: شفاعته في أهل الكبائر من أهل النار، فقد قيل: إن هذه يختص هو بها.

(١)حديث رقم: ٣٨٨٥, كتاب مناقب الأنصار, باب قصة أبي طالب, صحيح البخاري

(٢)حديث رقم: ١٨٣, كتاب الإيمان, باب معرفة الرؤية, صحيح مسلم.

(٣)حديث رقم: ٩٢٠, كتاب الجنائز, باب في إغماض الميت, صحيح مسلم.

(٤)شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين, (١٧٧/٢)

والرابع: كثرة من يشفع له من أمته ; فإنه وفر شفاعته وادخرها إلى يوم القيامة.))[١].

النوع الثاني: الشفاعة المنفية أو الباطلة

وهي الشفاعة الشركية, يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: ((والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية ، التي في قلوب المشركين ، المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم ، ويفوز بها الموحدون. وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ - قال ((أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه))[٢]

كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.))[٣]

وقال أيضا في الشفاعة المنفية: ((الذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم؛ حيث لم يتخذهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله ربه ومولاه.))[٤]

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم، ويفوز بها الموحدون.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها, وهي ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله, فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم.))[٥]

---

(١)فتح الباري في شرح صحيح البخاري(ص: ٢٢,٢٣)

(٢)حديث رقم: ٩٩, كتاب العلم, باب حرص على الحديث, صحيح البخاري

(٣)مدارج السالكين (٣٤٩/١)

(٤)مدارج السالكين (٣٤٩/١)

(٥)مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(٤٧/٢)

قال الشيخ السهسواني رحمه الله: ((طلب الشفاعة عند القبر أو بعيدا منه بدعة, لا يدل عليها دليل شرعي من الكتاب العزيز والسنة المطهورة.))[١]

قال أيضا: ((إن طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم في حياته ثابت بلا شق, وكذلك طلب الشفاعة منه يوم القيامة, وهذا لا ينكره أحد, وأما ما يمنعه المانعون فهو طلب الشفاعة منه بعد الوفاة قبل يوم القيامة, وهو غير ثابت.))[٢]

شروط الشفاعة:

للشفاعة المثبتة ثلاثة شروط:

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له.

الشرط الثالث: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى:

- ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم: ٢٦]

يقول الإمام البغوي في تفسيره: (({وكم من ملك في السماوات} ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله {لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله} في الشفاعة {لمن يشاء ويرضى} أي: من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه))[٣].

- ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]

قال الإمام الطبري رحمه الله: ((فإنه يعني بذلك: من ذا الذي يَشْفَعُ المماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم. وإنما قال ذلك جل ثناؤه لأن المشركين قالوا: " ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى اللهِ زُلْفَى " .

---

(١)صيانة الانسان (ص: ١٣٠٥)

(٢)صيانة الإنسان (ص: ١٣١٩)

(٣)معالم التنزيل (تفسير البغوي) (سورة النجم: ٢٦)

فقال الله لهم: لي ما في السماوات وما في الأرض مع السماوات والأرض ملكا ، فلا تنبغي العبادة لغيري ، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تُقَرِّبُكم مني زُلْفَى ، فإنها لا تنفعكم عندي ، ولا تغني عنكم شيئًا ، ولا يَشْفَعُ عندي أحد للأحد إلا بتخليني إياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتى .))[١]

- ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [سورة طه: ١٠٩]

قال ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره: ((قوله تعالى: {يومئذ لا تنفع الشفاعة }يعني: لا تنفع أحدا {إلا من أذن له الرحمن} أي: إلا شفاعة من أذن له الرحمن، أي: أذن أن يشفع له { ورضي له قولا }أي: ورضي للمشفوع فيه قولا، وهو الذي كان في الدنيا من أهل لا إله إلا الله))[٢]. ابن الجوزي

الشفاعة عند أهل السنة والجماعة:

اجمع المسلمون على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك, وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة. لا نزاع بين أهل السنّة والجماعة، بدءاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومروراً بالتابعين ومن تبعهم بإحسان، وانتهاءً بعلماء أهل السنّة الثقات، السائرين على طريق الصحابة - لا نزاع بينهم أبداً في إثبات الشفاعة.

قال الإمام الآجري رحمه الله: ((إنّ المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله عز وجل: أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة، أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان، واتبع غير سبيلهم))[٣].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (سورة البقرة: ٢٥٥)
(٢) زاد المسير في علم التفسير (سورة طه: ١٠٩)
(٣) الشريعة (ص: ٣٠٤)

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: ((اتفق أهل السنة والجماعة أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر, وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد. وأما الخوارج والمعتزلة, فأنكرو شفاعته لأهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين, إلا ما يحكى عن طائفة قليلة منهم, وهؤلاء مبتدعة ضلال.))[١]

رد العلامة الشهسواني رحمه الله لجملة من الشبهات حول الشفاعة بقوله:

((وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق, طرفان ووسط:
الطرف الأول: المشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن.
الطرف الثاني: الخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته, بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع

الإنسان بشفاعة غيره ودعائه, كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه, وأنكروا الشفاعة بقوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤], وقوله: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر: ١٨], وغير ذلك.

الطرف الوسط: وأما سلف الأمة وأئمتهم ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته, وغير ذلك من أنواع شفاعاته, وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة, وقالوا: إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد.))[٢]

وبهذا الطريق الشيخ السهسواني رحمه الله قد رد كل المفاهيم الباطلة في مسألة الشفاعة وأثبت منهج السلف في رد على المخالفين.

(١)تلخيص الاستغاثة (ص: ٤١٢)
(٢)صيانة الإنسان (ص: ١٣٢٣)

المطلب الثالث

الوسيلة

والتوسل

تعريف التوسل في اللغة:

أصل هذه الكلمة الواو والسين واللام, معناها: الرغبة والطلب. يقال: وسل إذا رغب, والواسل الراغب إلى الله تعالى.[١] وقيل: ((الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[سورة المائدة: ٣٥], وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعمل والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى))[٢] قال الجوهري في صحاحه: ((الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير. والجمع: الوسيل

والوسائل والتوسل واحد وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل))[٣]

تعريف التوسل في الشرع:

هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله وبكل عمل يحبه الله ويرضاه.

قال العلامة السهسواني: ((وأما معناه الشرعي فتحقيقه متوقف على استقراء مواقع هذا اللفظ في الكتاب والسنة, فليعلم أن هذا اللفظ قد جاء في سورة المائدة, قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: ٣٥].))[٤]

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ((يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه ، وهي إذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات ، وقد قال بعدها: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ قال سفيان الثوري حدثنا أبي ، عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي القربة . وكذا قال مجاهد [وعطاء] وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد. وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه . وقرأ ابن زيد:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾[الإسراء: ٥٧]))[٥]

(١)مقاييس اللغة لابن فارس(١١٠/٦)

(٢)المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٦٧٨)

(٣)الصحاح للجوهري (١٨٤١/٥)

(٤)صيانة الإنسان (ص: ٨٨٥)

(٥)تفسير ابن كثير (٢٠٠/٥)

فيتلخص مما تقدم أن المراد بالتوسل هي:

- التقرب إلى الله تعالى بما شرعه, والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم واتباعه.
- التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر وبشفاعته

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: ((فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات . فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب وما ليس

بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا . فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول . فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك.))[1]

أنواع التوسل:

النوع الأول: التوسل المشروع

وهو ما ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة, وهو أنواع كثيرة كما ذكر أهل العلم[2], ومنها:

أولها: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى سواء كان بالأسماء على سبيل العموم أو باسم معين منها. كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]

ثانيها: التوسل إلى الله تعالى بصفاته سواء كان ذلك على سبيل العموم أو بصفة خاصة. ومثال ذلك أن تقول: "اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا" وهذا التوسل صحيح.

ثالثها: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به أي أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله أو بمحبة الله، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم, فيقول: "اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا". فيصح هذا، ودليله قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣].

---

(١)مجموع الفتاوى (١٩٩/١-٢٠٠)

(٢)مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٢٠٥) والتوسل انواعه وأحكامه للألباني (ص:٣٤), صيانة الإنسان (ص ٨٩٢)

رابعها: التوسل بدعاء من ترجى إجابة دعائه ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين (أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يخطب الناس يوم الجمعة فدخل رجل فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم ،

يديه ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا" ثلاث مرات)[١]

خامسها: التوسل إلى الله بالعمل الصالح, وهو أن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملا صالحا يكون سببا في حصول المطلوب، ومثاله قصة الثلاثة الذين حدث عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ((انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوْا المَبِيتَ إلى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهمُ الغَارَ، فَقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: اللَّهُمَّ كانَ لي أبَوَانِ شيخَانِ كَبِيرَانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُما أهْلًا ولَا مَالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شيءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عليهما حتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أنْ أغْبِقَ قَبْلَهُما أهْلًا أوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ علَى يَدَيَّ، أنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه مِن هذِه الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شيئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: وقالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ له: كُلُّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئُ بي، فَقُلْتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ))[٢]

(١)حديث رقم: ١٠١٤, كتاب الاستسقاء, صحيح البخاري

(٢)حديث رقم: ٢٢٧٢, كتاب الإجارة, صحيح البخاري

النوع الثاني: التوسل الممنوع

إن السلف الصالح بينوا التوسل المشروع الذي دل عليه النصوص, وأوضحوا عدم جواز التوسل الممنوع الذي لم ترد في النصوص مشروعية, التوسل الممنوع هو الذي لم يأت الشرع للدلالة عليه, ولم يثبت فيه أنه وسيلة لا شرعا ولا قدرا, وهو أنواع أيضا, فمنها:

التوسل البدعي:

وهو التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع ، كالتوسل بجاه الأنبياء أو طلب الدعاء منهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، فهذا لم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز، فكيف يقول القائل للميت أنا أستغيث بك، وأستجير بك، أو أنا في حسبك، أو سل لي الله ، ونحو ذلك، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة؛ ولو قدر أن له تأثيراً، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله. وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يُعرف))[1]

التوسل الشركي:

أن يتوسل بوسيلة أبطلها الشرع ، كتوسل المشركين بآلهتهم, أو توسل الضالين من المبتدعة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأولياءهم كقولهم (مدد يا رسول الله) (مدد يا بدوي ، يا جيلاني), وهذا شرك أكبر يأتيهم بعكس مقصودهم فيوجب دخولهم النار ولا يكون وسيلة للوصول إلى رضا الله جل وعلا ولا حتى قضاء مطالبهم, فهذا وإن سموه توسلا فهو توسل إلى الشيطان لا إلى الرحمن, وهو الشرك الأكبر الصريح الذي لا يغفر لصاحبه إن لم يتب, فال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧]

(١) كتب الاستغاثة في الرد على البكري (ص:٢٢٥,٢٢٦)

قال العلامة السهسواني رحمه الله: ((القول الفصل في ذلك الفصل: أن السؤال بحق فلان إن ثتت بحديث صحيح أو حسن فلا وجه للمنع, وإن لم يثبت فهي بدعة, وقد عرفت فيما سلف أن كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو عن مقال ووهن, قالأحوط ترك هذه ألفاظ, وقد جعل الله في الأمر سعة, وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم التوسل المشروع على هيئات متعددة, فلا ملجئ إلى الوقوع في مضيق الشبهات.))[١]

وقال أيضا: ((التوسل بأعمال الغير مما يستنكف عنه العقل السليم, ولا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة))[٢].

الخلط بين التوسل والشفاعة:

قد علمنا مما سبق أن التوسل هو: التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته ودعاءه وبكل عمل يحبه الله ويرضاه. وأن الشفاعة هي: التوسط للغير بجلب خير له أو دفع شر عنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ((... كثير من العامة ... يستعملون لفظ الشفاعة في معنى التوسل ، فيقول أحدهم: اللهم إنا نستشفع إليك بفلان وفلان ، أي نتوسل به ، ويقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره " قد تشفع به" من غير أن يكون المستشفع به شفع له ولا دعا له ، بل وقد يكون غائباً لم يسمع كلامه ولا شفع له ، وهذا ليس هو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء الأمة , بل ولا هو لغة العرب ، فإن الاستشفاع طلب الشفاعة ، والشافع هو الذي يشفع السائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه . وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة ؛ بل قد لايعلم بسؤاله ، فليس هذا استشفاعاً ؛ لا في اللغة ولا في كلام من يدري ما يقول: نعم هذا سؤال به ، ودعاؤه ليس هو استشفاعاً به . ولكن هؤلاء لما غيروا اللغة . كما غيروا الشريعة . وسموا هذا استشفاعاً أي سؤالاً بالشافع صاروا يقولون: " استشفع به فيشفعك " أي يجيب سؤالك به ...))[٣]

(١) صيانة الإنسان (ص ٩١٠)

(٢) صيانة الإنسان (ص ٩١٢)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤٢/١-٢٤٦)

عندما دعا دحلان صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الحياة وبعد الوفاة بقوله: ((والحاصل أَن مذهب أَهْل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين -، وكذا بالأولياء والصالحين))[١].

فرد الشيخ السهسواني دافعا عن المذهب أهل السنة بقوله: ((إنْ أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة جميع أقسام التوسل التي ذكرناها آنفًا ففاسد؛ فإن كثيرا من أهل السنة صرحوا بكون بعض الأقسام غير جائز أو مكروها، بل بكون بعضها كفرا وشركا، وإن أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة بعض أقسام التوسل فنحن لا نُنْكِره ولا أحد من العلماء الذين رُمُوا بإنكار التوسل.))[٢]

ورد أيضا ببيان التفريق بين الحياة النبي صلي الله عليه وسلم البرزخية والدنيوية, فقال: ((بعد التسليم هذه الحياة حياة برزخية، وتساوِي الحياة البرزخية والدُّنْيَوِيَّة في جميع الأحكام لا يقول به أحد من العقلاء، إذ هو يستلزم مفاسِد غير محصورة، كما لا يَخْفَى على مَنْ لَه أَدْنَى فهم))[٣].

وبهذا الطريق الشيخ السهسواني رحمه الله قد رد كل المفاهيم الباطلة في مسألة التسول وأثبت منهج السلف في رد على المخالفين.

(١)الدرر السنية في رد على الوهابية (ص: ٣٧)

(٢)صيانة الإنسان (ص: ٩٣٠)

(٣)صيانة الإنسان (ص: ٩٢٨)

المطلب الرابع

النذر

تعريف النذر في اللغة:

هو الإيجاب، تقول: نذرت كذا إذا أوجبته على نفسك[١].

تعريف النذر في الاصطلاح:

هو إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئا غير لازم بأصل الشرع بكل قول

يدل عليه[٢]. قال العلامة ابن عبد البر رحمه الله: ((النذر هو إيجاب المرء فعل المرء على نفسه))[٣]

قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٧], أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر .

و عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)[٤]

النذر من أنواع العبادة، لأن العبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: ((اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة))[٥] ، فكل أنواع الطاعات التي أمر الله بها، أو أمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها الوفاء بالنذر عبادة، فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله صار مشركا الشرك الأكبر الذي يخرجه من الملة. وهذا واقع في هذه الأمة بكثرة، من حين وجدت الأضرحة، وبنيت على القبور، وصار كثير من الناس يتجهون إليها، لأنهم قيل لهم: إن هذه القبور فيها بركة، وفيها نفع، وفيها دفع ضرر، وإنها مجربة، فمن نذر للقبر الفلاني، أو للشيخ الفلاني، فإنه يحصل له مقصوده، إن كان مريضا يشفى، وإن كانت امرأة تريد الحمل فإنها إذا نذرت للشيخ الفلاني أو للقبر الفلاني تحمل، وإذا حصل بالناس تأخر مطر ونذروا لهذه القبور نزل المطر، إلى غير ذلك من المغريات.

(١)مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٤/٥)

(٢)الإقناع في فقه الامام أحمد (٣٥٧/٤)

(٤)الاستذكار (٢٧/١٥)

(٥)حديث رقم: ٦٦٩٦, كتاب الأيمان, باب النذر, صحيح البخاري

(٦)مجموع الفتاوى(١٤٩/١٠

من الشبهات القبوريين الخلط بين التوسل البدعي والشرك الأكبر عند القبور مثل النذر للصاحب القبر. قال العلامة السهسواني رحمه الله: ((من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين, وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور, وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة, فهذا كاذب في دعواه أنه متوسِل فقط.))[١]

وقال أيضا: ((وكذلك النحر للأموات عبادة لهم, والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم, والتعظيم عبادة لهم, كما أن النحر للنسك, وإخراج صدقة المال والخضوع

والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف, ومن زعم أن ثم فرقا بين الأمرين فليهده إلينا.))

وبذلك أقام الشيخ السهسواني رحمه الله التوحيد في منتقته، وحارب البدعة وأهلها بالأدلة والبراهين من القرآن والسنة وأقوال السلف ورد على أئمة البدع مثل دحلان.

(١)صيانة الإنسان (ص: ٨١٤)
(٢)صيانة الإنسان (ص: ٨١٧)

الفصل الثالث

موقف السهسواني من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وسائر الدعوة النجدية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المراد بنجد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
المبحث الثاني : رده على من يتهم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب كفر المسلمين
المبحث الثالث: دفاعه عما فعل الأمير سعود في تلك فترة الزمنية

التمهيد

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن سنته الماضية في تكذيب أهل الباطل للرسل وأتباعهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]. فالله عز وجل ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأذى المشركين له، وكل من سار على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وطريقه فسيحصل له من الابتلاء ما حصل للنبي، وبحسب شدة التمسك بسنته يشتد الابتلاء.

ولما كانت الدعوة الإصلاحية دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوة على منهاج النبوة حصل لها من الابتلاء ما حصل منذ نشأتها، ولا تزال تتعرض للهجوم عليها والانتقاد لأصولها ومنهجها.

إن دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقد سماها

معارضوها بالدعوة الوهابية لم ينحصر أثرها في أرض نجد والحجاز أو في بلاد العرب فحسب، بل عن كافة أنحاء العالم، وأحدث آثارا طيبة في المجتمعات، وقام بدور هام في إنقاذ الناس من أدران الشرك والبدع، والعودة بهم إلى توحيد الله والتمسك بالكتاب والسنة، ومن أجل هذا كثر المعاندون لهذه الدعوة، وتنوعت جهودهم لتنفير الناس عنها وعن صاحبها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

قال الشيخ أبو المكرم بن عبد الجليل في كتابه "الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها فب شبه القاهرة الهندية": ((ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن شبه القارة الهندية كانت على رأس البلاد التي رفعت صوتها ضد هذه الدعوة، وقامت بأبشع الدعايات والافتراءات على شخصية الشيخ ودعوته ودولة آل سعود كذلك، فالدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودولة آل سعود بعد قيامهم بنصرة هذه الدعوة، كانتا المثلان أصلاً واحدًا، والفضل في نشر الدعوة والتعريف بها في العالم إنما يرجع بعد الله تعالى إلى دولة آل سعود، كما كان لدعوة الشيخ أثر كبير في تكوين الدولة على نهج الكتاب والسنة، وفي تطهير أرض نجد والحجاز من كل أنواع الشرك والبدع.))

لقد ألف الشيخ السهسواني رحمه الله كتابه الشهير (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) وهو كتاب قيم في موضوع رد الأفتراءات الملصقة بالدعوة واتباعها وأما مسائل التي تحتوي الكتاب فهي تتعلق بالعقيدة والتوحيد التي عنى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله, ومنها مسائل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم , واستغفاره للمؤمنين بعد الموت, والتوسل به , ودعاء غير الله تعالى التي سبق في الفصل الثاني من هذه الرسالة , ثم خلاصة سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتهام خصومه إياه والرد عليها , والموازنة بين أحوال نجد بعد الدعوة وبين ماكانوا عليه قبلها.

ومن خلال هذا الكتاب دافع الشيخ السهسواني رحمه الله عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من أكاذيب أهل البدع وخاصة دحلان وأمثاله إلى يومنا هذا.

نبذة مختصرة[١] عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي . ولد عام ألف ومائة وخمس عشرة للهجرة (١١١٥ هـ) في مدينة " العيينة " من نجد في الجزيرة العربية ، في بيت علم وفضل. حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة ، وقرأ على أبيه الفقه ، وكان

ذكيّاً كثير المطالعة . رحل الشيخ إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة ، طلباً للعلم . التقى بمدينة " الدرعية " بالأمير محمد بن سعود وحصلت بينهما البيعة على نشر التوحيد وإقامة حكم الله في الأرض .اشتغل بالدعوة إلى الله ولاقى الصعاب في ذلك . ألَّف كتباً عظيمة النفع ، ومن أهمها " كتاب التوحيد ", توفي الشيخ رحمه الله في عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم (١٢٠٦ هـ). الشيخ يعدُّ من أكثر الشخصيات الإسلامية تعرضاً للطعن والتشويه والكذب عليه وعلى دعوته.

حال نجد قبل دعوة الشيخ:

إن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية قد جاءت في وقت اشتدت فيه غربة الإسلام، وانطمست فيه كثير من معالم الرسالة، لا سيما في نجد وما جاورها، على نحو تتابع العلماء والمصلحون والمؤرخون على ذكر هذه الغربة، وكثرت النداءات والدعوات الداعية لإصلاح الأحوال، واستنهاض همم أهل العلم والعزم.

قال العلامة السهسواني مخبرا عن احوال النجد قبل الدعوة الإمام المجدد رحمهما الله: ((إنه من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس, وعرف أحوالهم, وسمع شيئا من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ, واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانو على غاية من الجهالة والصلالة, والفقر والعالة, لا يستريب في ذلك عاقل, ولا يجادل فيه عارف, كانو من أمر دينهم في جاهلية, ويدعون الصالحين, ويعتقدون في الأشجار والأحجار الغيران, يطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها, وفيهم من كفر التحادية والحلولية, وجهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الإيمان, والطريقة المحمدية, وفيهم من إضاعة الصلوات, ومنع الزكاة, وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور.))[1]

(١)صيانة الانسان (ص: ١٤١٧ - ١٤٣٤)

(٢)صيانة الانسان (ص: ١٤٥١)

ثم ذكر السهسواني عن أثر دعوة الشيخ المجدد رحمهما الله فقال: ((محا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده, وهدم به بيوت الكفر الشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الأصول والفروع

من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام الأمر قائم بالمعروف والنهي عن المنكر، وحدت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخوانا فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفتح عليهم الاحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، دانت لهم عربها، وأعطوا الزكاة فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدين والدنيا، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والإقبال والسنا.))[١]

(١)صيانة الانسان (ص: ١٤٥٢)

المبحث الأول

المراد بنجد في حديث النبي

صلى الله عليه وسلم

لقد استخدم أهل البدع الكارهون لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ,الحديث التالي كدليل على تضليل جهوده وذم دعوته وقالو أن المراد بنجد في هذه الأحاديث هو نجد الذي ولد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ((اللَّهمَّ بارِكْ لنا في شامِنا ، وبارِكْ لنا في يمنِنا . قالوا: وفي نجدِنا ؟ قال: اللَّهمَّ بارِكْ لنا في شامِنا ، وبارِكْ لنا في يمنِنا . قالوا: وفي نجدِنا ؟ قال: هناك الزَّلازلُ والفِتَنُ ، وبها يخرجُ قرنُ الشَّيطانِ))[١]
- عن أبي هريرة رضِي اللَّه عنه، أنّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: ((رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ.))[٢]
- عن أبي مسعود يبلغ به النبي صلى اللع عليه وسلم قال: ((مِنْ هَاهُنَا جَاءَتِ الْفِتَنُ " نَحْوَ الْمَشْرِقِ " وَالْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ))[٣]

- عن جابر بن عبد اللَّه يقول: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: ((غِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَاز.))[٤]

لا ريب أن هذا الحديث الذي أورد المعترضون صحيح, ولكن ليس الذم واردا لنجد اليمامة ولكن كلمة نجد هي كل ما ارتفع من الأرض, وشرق المدينة هي العراق وليست اليمامة. فرد الشيخ السهسواني رحمه الله على هذا الافتراء وبين المقصود من المشرق, ونجد فقال: ((المقصود بها نجد العراق وشرق المدينة.))[٥] قال محمّد مرتضى الزَّبيدي ((النجد: ما أشرف من الأرض, وارتفع واستوى وصلب وغلظ)).[٦]

(١)كتاب الاستسقاء, حديث رقم: ١٠٣٧, صحيح البخاري
(٢)كتاب بدأ الخلق, حديث رقم: ٣٣٠١, صحيح البخاري
(٣)كتاب المناقب, حديث رقم: ٣٤٩٨, صحيح البخاري
(٤)كتاب الإيمان, حديث رقم:٥٣ , صحيح مسلم
(٥)صيانة الإنسان (ص: ١٦٣١)
(٦)تاج العروس من جواهر القاموس(٩/٢٠١)

قال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي رحمه الله (ت: ١٤٢٣هـ) عن فتنة التي وقعتها في العراق: ((منها وقعة الجمل وصفين اللتان فرقتا شمل المسلمين, وهاتان الوقعتان هما الأساس لخروج الفرق الضالة وتشتيت كلمة المسلمين, وتكفير بعضهم لبعض, فقد ظهرت الخوارج والشيعة بسبب هاتين الوقعتين. ثم حادثة قتل الحسين بن علي رضي الله عنه, وهي من أكبر الفتن جرت الوبال على المسلمين. وظهور المعتزلة والقدرية وحادثة القول بخلق القرآن, وموقف المأمون مع الإمام أحمد بن حنبل وعلماء السنة, يأمرهم بهذا الاعتقاد الفاسد, ووصل الأمر به إلى حد سجنهم, وجاء المعتصم بعد المأمون على منهجه ثم الواثق بالله وسار هو أيضا على درب سابقيه, وسجن الإمام أحمد ثمانية وعشرين شهرا وضر بالسياط مرارا حتى أغمي عليه ولم يوافقهم على ما يريدون, ولا زالت الفتن بها حتى جاء عبد الكريم قاسم وقتل من قتل من الملوك والعلماء, ودعا إلى مذهب الشيوعية والإلحاد, ولا زالت الفتن تترى.))[١]

- عن أبي سعيد رضي الله عنه، ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ؛ سِيمَاهُمُ

النَّحَالُقُ، قَالَ: " هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ ". قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ مَثَلًا - أَوْ قَالَ قَوْلًا: " الرَّجُلُ يَرْمِي الرَّمِيَّةَ - أَوْ قَالَ الْغَرَضَ - فَيَنْظُرُ فِي النَّصْلِ، فَلَا يَرَى بَصِيرَةً ، وَيَنْظُرُ فِي النَّضِيِّ، فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي الْفُوقِ، فَلَا يَرَى بَصِيرَةً ". قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ.))[٢]

فقال الشيخ السهسواني: ((فعلم من تلك الروايات أن الخوارج يخرجون من المشرق والعراق، وأن أهل العراق والشرق هم الذين يقتلونهم، وهذا يدل دلالة واضحة على أن جميع أهل العراق والمشرق ليس ممن تصدق عليهم هذه الأحاديث التي فيها ذكر الخوارج بل منهم من يقتلونهم، وكذلك المراد بنجد في حديث ابن عمر " هناك الزلازل والفتن" نجد العراق، قال بعض المحققين: وأما قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له وفي نجدنا "تلك موضع الزلازل والفتن وهنا يطلع قرن الشيطان" فالمقصود بها نجد العراق وشرق المدينة.))[٣]

حتى لو قبلنا الاتهامات الباطلة لهؤلاء الناس أن نجد في الحديث هي مكان الذي ولد الإمام محمد ين عبد الوهاب رحمه الله, فنقول أن ورود ذم لبعض البلدان لا يستلزم ذم كل من سكن فيها.

قال الشيخ السهسواني رحمه الله عن هذا الموضوع: ((ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد، كما داولها بين الناس والعباد، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[سورة آل عمران: ١٤٠].

(١)الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه (ص:١١٤)

(٢)كتاب الزكاة, باب ذكر الخوارج, حديث رقم: ١٠٦٥, صحيح مسلم

(٣)صيانة الإنسان (ص: ١٦٣١)

وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس وأهل الكتابين، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرم، ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين. ولا يعيب شيخنا[١] بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين، وطرد هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين.))[٢]

عندما استدل المعارضون الأحاديث الفتن ليزعموا أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الخوارج, فرد الشيخ السهسواني[٣] بقول الشيخ عبد اللطيف آل شيخ, فقال: ((هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا، ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم، بل الموصوف بإجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي من أهل الكوفة والبصرة وما يليها، وفيهم من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر، ولذلك نسبوا إليه وقيل أهل النهروان، وحروراء بلدة هناك نسبوا إليها فقيل الحرورية))[٤]

وبهذا دافع العلامة محمد بشير الشهسواني رحمه الله عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أكاذيب معارضيه فحمى بذلك التوحيد وأهله، وحارب الشرك والبدعة وأهلهما.

(١)الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
(٢)صيانة الإنسان (ص: ١٦٣٣)
(٣)صيانة الإنسان (ص: ١٦٣٥)
(٤)مصباح الظلام (ص: ٢٤١)

المبحث الثاني

رده على من يتهم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب كفر المسلمين

ومن أهم الأكاذيب التي ينشرها المعارضون على الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله, أنه تمسك في تكفير المسلمين واستحلال دمائهم. وهذا يدل على كراهيتهم للتوحيد وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((التكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله, ليس لأحد في هذا حكم , وإنما على الناس إيجاب ما اوجب الله ورسوله, وتحريم ما حرم الله ورسوله))[١] وقد أكد على هذا المعنى الإمام محمد بن عبد الوهاب, فكان من أشد الناس توقفا وإحجاما عن إطلاق الكفر, وكان يقول: ((وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم

يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم))[٢]

وقال أيضاً: ((ما ذكر لكم عني أني أكفر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت، ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنه دين المشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلاّ رجلاً معانداً أو جاهلاً))[٣].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: ((والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها، قال في بعض رسائله: ((وإذا كنا لا نقاتل من يعبد قبّة الكواز، حتى نتقدم بدعوته إلى إخلاص الدين لله، فكيف نكفر من لم يهاجر إلينا وإن كان مؤمناً موحداً)). وقال: وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال، فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور))[٤]

(١)مجموع فتاوى (٥/٥٤٥)
(٢)الدرر السنية (١/ ٦٦)
(٣)مجموع مؤلفات الشيخ (٣/ ٣٣)
(٤)منهاج التأسيس والتقديس (ص: ٩٨ ,٩٩)

قال الشيخ السهسواني رحمه الله: ((إنما تمسك الشيخ في تكفير الذين يسمون أنفسهم مسلمين وهم يرتكبون أمور مكفرة بعموم آيات نزلت في المشركين، وقد ثبت في علم الأصول أن العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب، وهذا مما لا مجال لاختلاف فيه لأحد.))[١]

وقال أيضا: ((هذا بهتان عظيم، فإن الشيخ رحمه الله سعى سعيا عظيما في إزالة البدعة والضلالة، وإنما دعا الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة وترك الشرك والبدعة.))[٢]

وعندما كتب دحلان, أحد معارضي الشيخ في كتابه[٣] أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كفر الأمة, وحرق الكتب الكثيرة، وقتله كثيرا من العلماء وخواص الناس وعوامهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجسيم للباري تبارك وتعالى، وعقده

الدروس لذلك وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمر في الأحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلا لقضاء الحاجة، ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسم الزكاة على هواه، وكان يعتقد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون, فرد الشيخ السهسواني رحمه الله بقول من القرآن الكريم: ﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[سورة النور: ١٦].

رد الشيخ السهسوتني لأكاذيب دحلان وافتراعاته: ((وأما ما ذكره من مطاعن الشيخ فالجواب عنها أن منها ما هو البهتان الظاهر، وهي تكفير الأمة من ستمائة سنة، وحرق الكتب الكثيرة، وقلته كثيرا من العلماء وخواص الناس وعوامهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجسيم للباري تعالى وعقده الدروس لذلك، وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمره أن يجعل قبول الأولياء محلا لقضاء الحاجة، ومنع الناس من الرواتب والأذكار، وقتل من قرأ دلائل الخيرات، ومن قرأ مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن صلى الله عليه وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الأذان، وادعاء النبوة وقسمه الزكاة على هواه، واعتقاد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون، وتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء، وتكفير من قال لأحدنا: مولانا وسيدنا، والمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وجعله كغيره من الأموات وإنكار علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم، فالجواب في هذه المطاعن كلها: ﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[سورة النور: ١٦].))[٤]

وبهذه الطريقة دافع شيخ السهسواني رحمه الله من الهند عن شيخ محمد بن عبد الوهاب من الجزيرة العربية, والشيء الوحيد الذي جمعهم هو ثباتهم على التوحيد ونضالهم ضد الشرك والبدع.

(١)صيانة الإنسان (ص: ١٥٦٨)

(٢)صيانة الإنسان (ص: ١٥٦٤)

(٣)الدرر السنية في رد على الوهابية(ص: ١٠٩,١٠٨)

(٤)صيانة الإنسان (ص: ١٦٨٢)

المبحث الثالث

دفاعه عما فعل الأمير سعود في تلك فترة الزمنية

كان القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي بداية

عصر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمدُ بن عبدالوهاب؛ وفي هذا القرن كان العالم الإسلامي يسير على النهج نفسه الذي سار عليه في سابقه من انفصال عن الحقيقة الإسلامية، ولذلك جاهد الإمام محمد بن عبد الوهاب مع أمير محمد بن سعود في سبيل تكوين رؤية سلفية تعيد حال الأمة الإسلامية إلى الصلاح؛ حتى تنجح في تحقيق عودتها إلى مكانها التاريخي، بعد أن شهد تحول بلاده من حياة الجاهلية والبداوة إلى حياة الإسلامية والحضارة.

وقد أثنى الشيخ السهسواني رحمه الله على هذا التعاون بين ابن سعود وابن عبد الوهاب رحمهما الله مراراً في كتابه الذي يحتوي في معظمه على الرد على أكاذيب هذه الدعوة وعلى معارضي هذا التعاون.

ذكر الشيخ السهسواني عن العقد بين الإمام محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي أخبر الشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب, فقال: ((فأنا معاشر غزو الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر المحرم الحرام سنة ١٢١٨, ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير عافاه الله تعالى على العلماء ما نطلب الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

(أحدهما): إخلاص التوحيد ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

و (الثاني): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا ذلك الأمير على الكتاب والسنة، وقبل منهم وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق.))[١]

ثم قال أيضا: ((: فبعد ذلك أزلنا جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة الطاهرة طاغوت يعبد، فالحمد لله على ذلك، ثم رفعت المكوس والرسوم وكسرت آلات التنباك ونودي بتحريمه، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات.))[٢]

(١) صيانة الانسان (ص: ١٤٣٧)

فذكر الشيخ السهسواني عن أثر دعوة الشيخ المجدد رحمهما الله بعد أقام الأمير سعود دولة الاصلاحية, فقال: ((محا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده, وهدم به بيوت الكفر الشرك ومعابده، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الأصول والفروع من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام الأمر قائم بالمعروف والنهي عن المنكر، وحدت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله إخوانا فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفتح عليهم الاحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، دانت لهم عربها، وأعطوا الزكاة فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدين والدنيا، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والإقبال والسنا.))[1]

إن إعادة تأسيس التوحيد والسنة في الديار المقدسة لا يجلب السعادة للشيخ السهسواني فقط ولكنها قرة عيون لكل موحد في كل بقعة من بقاع الأرض. وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الشيخ السهسواني يدافع عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وما فعل الأمير سعود في تلك فترة الزمنية. رحمهم الله أجمعين.

(١) صيانة الانسان (ص: ١٤٥٢)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات, الحمد لله أولا وآخرا, والصلاة والسلام على رسولنا المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين على آله وصحبه أجمعين. أما بعد, ففي ختام هذا البحث الذي عُنون له ب " جهود العلامة محمد بشير السهسواني الهندي رحمه الله في تقرير توحيد الألوهية ورد على المخالفين", أعرض أبرز نتائجه, وأعقبها بأهم التوصيات:

- كان الشيخ السهسواني رحمه الله من كبار العلماء في الهند الذين لا

تزال كتبه وكلماته تعتبر مصدراً للمعرفة حتى بعد مرور أكثر من مائة عام على وفاته.

- عاش الشيخ حياة مليئة بالدعوة وتعليم الناس والدفاع عن المنهج أهل السنة والجماعة.
- كان الشيخ بارعاً في المناظرة، فناظر أ مرزا غلام أحمد القادياني وكشف كفره للعالم.
- الشيخ رحمه الله يعتنق منهج أهل السنة والجماعة وهذا ظاهر في جميع مؤلفاته, فيجد أنه حرص على إظهار الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة من خلال عرضه لكثير من مسائل الاعتقاد وغيرها, وحسن الاستدلال لها.
- الشيخ يرد على المجالفين على طريقة السلف, فيبدأ الرد من الكتاب ثك السنة ثم أقوال الصحابة ثم أئمة السلف ثم أقواله ويدافع عن العلماء السنة مثل شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في مناسبات عديدة.
- والشيخ السهسواني رحمه الله قد عاش في مجتمع كان ممتلئا بالشركيات وما يتعلق بها من علائق مثل الأضرحة ودعاء الأموات والطواف بالقبور والنذر لها والقصد إليها والموالد وغيرها من الشركيات العظيمة, لذا كانت كتاباته ممتلئة بالتحذير من الشرك ووسائله وأسبابه, والدعوة إلى التوحيد الخالصة من الشبهات والشهوات.
- دافع العلامة محمد بشير الشهسواني رحمه الله عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أكاذيب معارضيه فحمى بذلك التوحيد وأهله، وحارب الشرك والبدعة وأهلهما.
- يتبين لي من حلال هذه الرسالة:

أولا: من العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين (إجمالا) وهما: التوحيد في المعرفة والإثبات والتوحيد في المطلب والقصد:

ثانيا: ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام (تفصيلا) هي: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ثالثا: من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب

وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

رابعا: توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية, وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله, وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه, وبوجوده يكون الصلاح, وبفقده يكون الشر والفساد.

خامسا: إن أبرز ما يميز منهج السلف الصالح, منهج أهل السنة والجماعة, هو اعتمادهم على الكتاب والسنة, واعتبارها مصادر التلقي خصوصا في أبواب الاعتقاد, وذلك بخلاف سائر الفرق والطوائف, وهذه سمة بارزة, وعلامة فارقة بين أهل السنة وبين غيرهم من أهل البدعة.

سادسا: قد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الحث على الإتباع الكتاب والسنة ، ونهى عن الإبتداء.

سابعا: زيارة القبور الشرعية هي التي يقصد منها تذكر الآخرة, الإحسان إلى الميت, والدعاء له وإحسان الزائر إلى نفسه بالتباع السنة في زيارة القبور, والوقوف عند ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم.

ثامنا: دعاء غير الله شرك والشرك ذنب عظيم بل هو أعظم الذنوب وكل ذنب يغفره الله لمن يشاء إلا الشرك.

تاسعا: اتفق أهل السنة والجماعة أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر, وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد.

عاشرا: المراد بالتوسل هي التقرب إلى الله تعالى بما شرعه, والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم واتباعه والتوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر.

وفي الختام أوصي نفسي والمسلمين بالشكر الدائم لله عز وجل على ما منّ به علينا من إقامة التوحيد في قلوبنا وبيوتنا ومكاننا ، اللهم من

أرادنا وأراد عقيدتنا بسوء فأشغله بنفسه، ورد كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميرًا عليه. اللهم ثبتنا على التوحيد والسنة حتى نلقاك . والحمد لله رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين, وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد, وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع ومصادر البحث

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري, للإمام محمد بن إسماعيل بن البخاري، ط ١, دار ابن كثير - دمشق بيروت, ١٤٢٣هـ.
٣. صحيح مسلم, للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى, ط ١, دار طيبة, ١٤٢٧هـ.
٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, لعبد الرحمن السعدي, ط ٢, دار السلام – الرياض, ١٤٢٢هـ.
٥. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان, لبشير السهسواني, ط ٥,على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميع, ١٣٩٥هـ.
٦. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر, لشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني, ط١, دار ابن حزم – بيروت, ١٤٢٠هـ.
٧. الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية, لمحي الدين الألوائي, ط ١, دار القلم – دمشق, ١٤٠٦هـ.
٨. مشاهير علماء نجد وغيرهم, لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ, ط ٢, دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر – الرياض, ١٣٩٤هـ.
٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة, لإبن تيمية, المحقق: عبد القادر الأرناؤوط, ط١, رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض, ١٤٢٠هـ.
١٠. فضل أهل البيت وحقوقهم, لإبن تيمية, ط١,دار القبلة – الرياض, ١٤٠٥هـ.
١١. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري, لعبد الله الغنيمان, ط١, المكتبة الدار – المدينة المنورة, ١٤٠٥هـ.
١٢. تعلقات على المخالفة العقدية في فتح الباري, لعبد الرحمن بن ناصر البراك, ط١, دار التوحيد – الرياض, ١٤٣٣هـ.

١٣. الإستغاثة في الرد على البكري, لأبن تيمية, المحقق: عبد الله بن دجين السهيلي,ط١, دار المنهاج-الرياض, ١٤٢٦هـ.
١٤. الفكر الصوفي, لعبد الرحمن عبد الخالق, ط ٢, مكتبة ابن تيمية – الكويت, ١٤٠٤هـ.
١٥. الخرسانية في شرح عقيدة الرازيين, لعبد العزيز الطريفي, ط١, دار المنهاج – الرياض, ١٤٣٧هـ.
١٦. شروط شهادة أن لا إلاه إلا الله, محمد عبد الله مختار, ط١, دار الأمجاد – بيروت, ١٤٣٨هـ.
١٧. شرح عقيدة أهل السنة والجماعة, محمد بن صالح العثيمين, ط١, مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – القصيم, ١٤٣٧هـ.
١٨. شرح ثلاثة الأصول, محمد بن صالح العثيمين. ط١, دار الثريا – الرياض, ١٤٢٤هـ.
١٩. مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد, لأبو عاصم هشام محمد آل عقرة, ط٢٨, دار الصفوة – مصر, ١٤٣٨هـ.
٢٠. قرة عيون الموحدين, لعبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب, ط١, دار التوحيد – الرياض, ١٤٣٤هـ.
٢١. الطاغوت, لسعيد بن وهف القحطاني, ط١, مؤسسة الجريسي – الرياض, ١٤٣٤هـ.
٢٢. الولاء والبراء في الإسلام, لمحمد بن سعيد القحطاني, ط ١٣, دار طيبة – الرياض, ١٤٣٥هـ
٢٣. كتاب التوحيد, لمحمد بن عبد الوهاب, ط٣, دار طويق – الرياض, ١٤٣٥هـ.
٢٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد, لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ, ط٨, الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض, ١٤٣٦هـ.
٢٥. كتاب أصول الايمان في ضوء الكتاب والسنة, لصالح آل الشيخ, ط١, دار الرواد- المنصورة, ١٤٣٧هـ.
٢٦. التعرير في بيان أحكام التكفير, لعصام عبد الله السناني, ط٢, مؤسسة التراث الذهبي – الرياض, ١٤٣٨هـ.

٢٧. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة, لمحمد بن بطة العكبري, ط٤, مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض, ١٤٣٥هـ.
٢٨. القواعد في توحيد العبادة, لمحمد بن علي باجسير, ط١, دار الامجاد – بيروت, ١٤٣٨هـ.
٢٩. مشكلة الغلو في الدين, لعبد الرحمن بن معلا اللويحق, ط٣, دار رسالة العالمية – دمشق, ١٤٣٦هـ.
٣٠. أصول الدعوة, لعبد الكريم زيدان, ط ١, مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق, ١٤٣٧هـ.
٣١. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف, لأحمد عبد الهادي شاهين, ط ١, دار الكتب – مصر, ١٤٤٣هـ.
٣٢. أحكام اهل الدمة, لإمام ابن القيم الجوزية, ط ١, دار عالم الفوائد- مكة, ١٤٤١هـ.
٣٣. تجديد الدين, لمحمد بن عبد العزيز العالي, ط ١, دار كنوز إشبيليا – الرياض, ١٤٣٠هـ.
٣٤. الفصل بين النفس والعقل, لعبد العزيز الطريفي, ط ١, دار المنهاج – الرياض, ١٤٣٩هـ.
٣٥. دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة, لأحمد بن علي عبد العال, ط ٤, دار الأوراق, ١٤٤٢هـ.
٣٦. شرح الأربعين النووية, لمحمد بن صالح العثيمين, ط ٤, مؤسسة الشيخ صالح العثيمين, ١٤٣٥هـ.
٣٧. منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في تقرير توحيد الألوهية, لبدر بن محمد بن إبراهيم الوهيبي, دار الأمجاد-الرياض, ١٤٣٨هـ.
٣٨. مجمعة الفتاوى, لإبن تيمية, ط١. مكتب العبيكن- الرياض, ١٤١٩هـ.

كتب في اللغة الأردية

٣٩. القول المحقق المحكم في حكم زيارة القبر الحبيب الأكرم, لبشير السهسواني ط١, أم القرى للنشر- باكستان, ١٤٣١هـ.

٤٠. البرهان العجاب مع كشف الحجاب, لبشير السهسواني, مكتبة السعيدية – خانيوال, ١٤٠٣هـ.
٤١. تذكرة النبلاء في تراجم العلماء, لعبد الرشيد عراقي, ط١, المكتبة الرحمانية – لاهور,١٤٢٣هـ.

تاريخ علماء الحديث هند, ليحيى خان نوشهري.
دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية, لأبو المكرم بن عبد الجليل
, دبستان حديث, لمحمد إسحاق باتي.